ذاكرة العرب

دورية علمية مُحكّمة – العدد الخامس – ٢٠٢١

ISSN 2735-4210

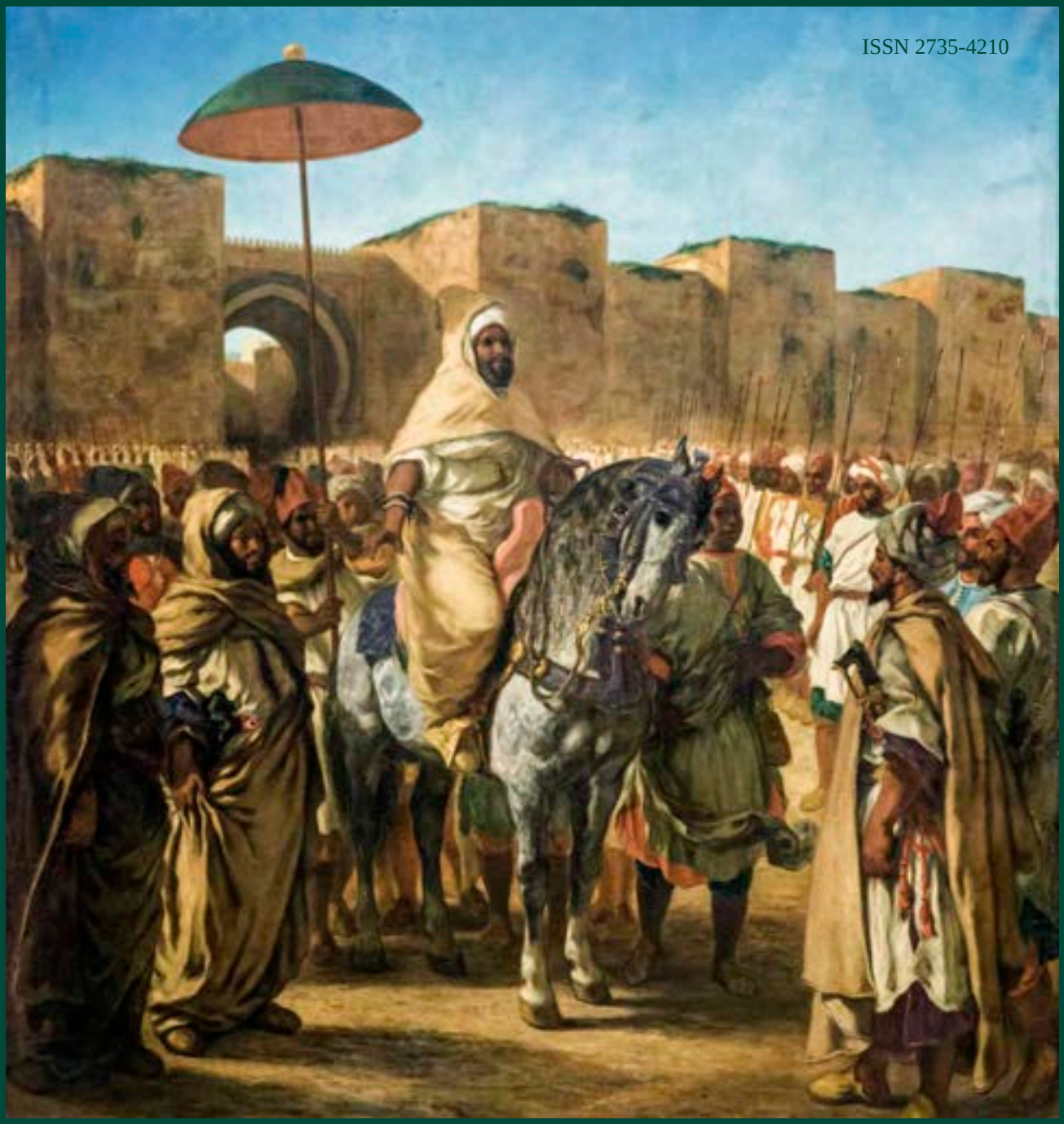

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الذاكرة العربية

دورية علمية مُحكّمة

مركز دراسات الحضارة الإسلامية
Center for Islamic Civilization Studies

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

ذاكرة العرب. - ع5 (2021) - . - الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، قطاع البحث الأكاديمي، مشروع ذاكرة العرب، 2021.

مجلدات ؛ سم.

ربع سنوي

ردمد 2735-4210

1. العرب-- تاريخ-- دوريات. 2. الثقافة العربية-- دوريات. 3. الحضارة العربية -- تاريخ -- دوريات. 4. الدول العربية-- تاريخ-- العصر الإسلامي-- دوريات. 5. الدول العربية -- تاريخ-- دوريات. أ- مكتبة الإسكندرية. قطاع البحث الأكاديمي. مشروع ذاكرة العرب.

ديوي – 909.04927 2020424354276

ISSN 2735-4210

© مكتبة الإسكندرية، ٢٠٢١.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الدورية، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الدورية، يُرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص.ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

طُبِع بمصر
١٠٠٠ نسخة

الإشراف العام

أ . د . مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس قطاع البحث الأكاديمي

د . مَرْوَة الوَكِيل

رئيس التحرير

د . مُحَمَّد الجَمَل

هيئة التحرير

د . رَضْوَى زَكِي

المراجعة اللغوية

د . مُحَمَّد حَسَن

فَرِيدَة صُبِيح

مراجعة التنسيق

مَرْوَة عَادِل

معالجة النصوص

سَمَاح الحَدَّاد

التصميم الجرافيكي

مَهَا رِفْعَت

الإسكندرية، ٢٠٢١

مجلة ذاكرة العرب دورية علمية مُحكّمة تهتم بالتراث الثقافي والتاريخي والحضاري للبلدان العربية والإسلامية، وتهدف إلى التأكيد على أهمية استعادة الذاكرة العربية للحاضر العربي الراهن، وتصدر عن مشروع «ذاكرة العرب» بقطاع البحث الأكاديمي بمكتبة الإسكندرية.

الهيئة الاستشارية

أ. د. أشرف فراج (مصر)

أ. د. ألبرشت فوس (ألمانيا)

أ. د. أيمن فؤاد سيد (مصر)

أ. د. حسام الدين شاشية (تونس)

أ. د. حسن محمد النابودة (الإمارات)

أ. د. حسين العمري (اليمن)

أ. د. خالد زيادة (لبنان)

أ. د. خوسيه ميجل بوريتا فيلجاز (إسبانيا)

أ. د. ديفيد نيكول (إنجلترا)

أ. د. سليمان الذييب (السعودية)

أ. د. صلاح جرار (الأردن)

أ. د. عبد الرحمن السالمي (عمان)

أ. د. عبد القادر بوباية (الجزائر)

أ. د. عبد الواحد ذنون طه (العراق)

أ. د. محمد أبطوي (المغرب)

أ. د. محمد أمين ولد آن (موريتانيا)

أ. د. مصطفى موالدي (سورية)

أ. د. نيقولا ميشيل (فرنسا)

قواعد النشر

- ترحب المجلة بنشر البحوث الجديدة في كافة مجالات دراسات التراث الثقافي والتاريخي والحضاري للبلدان العربية والإسلامية.
- يجب أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار والمنهجية، وأن يكون البحث جديدًا ولم يُنشر من قبل بأي صورة من صور النشر، وغير مستلٍّ من كتاب أو رسالة جامعية (ماجستير، دكتوراه).
- يتراوح عدد كلمات البحث بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ كلمة.
- يُستخدَم خط Traditional Arabic للبحوث باللغة العربية بحجم ١٦ للمتن، و١٤ للهوامش، ومسافة واحدة بين السطور.
- يُستخدَم خط Times New Roman للبحوث باللغة الإنجليزية بحجم ١٤ للمتن، و١٢ للهوامش، ومسافة واحدة بين السطور.
- توضع الهوامش والإحالات في نهاية البحث إلكترونيًّا، ويكون تسلسل أرقام الهوامش متتاليًا متسلسلًا في البحث.
- يرفق قائمة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يراعى اتباع منهجية النشر وقواعد كتابة المصادر والمراجع المتبعة في مكتبة الإسكندرية، ويلتزم الباحث بإجراء أي تعديلات ببليوغرافية حال طلبها.
- يرسل الباحث السيرة الذاتية مختصرة، ومزودة ببطاقة الهوية وبيانات اتصال كاملة.
- تحكيم الأبحاث سري ومعد على نموذج يخضع للمعايير العلمية الأكاديمية، وقرار إجازة البحث للنشر أو رفضه هو قرار نهائي. في حال الإجازة مع التعديل، يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة وفق المدة المحددة.

التواصل وإرسال الأبحاث عبر البريد الإلكتروني للمجلة:

arabmemory.journal@bibalex.org

الفهرس

مخطوطات الفروسية المملوكية المزينة بالتصاوير «كتاب المخزون جامع الفنون أنموذجًا» (٨٧٥ هـ/ ١٤٧٠ م) ٧

د. محمد إبراهيم عبد العال

مصادر تاريخ الفروسية في العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧ م) ٤١

د. شيرين القباني

تكتيكات الحصار في عصر دولة المماليك البحرية بين النظرية والتطبيق (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ/ ١٢٥٠ – ١٣٨٤ م) ٥٩

د. محمد فوزي مصري رحيل

التأثيرات الوافِدة على أدوات ومعدات الحرب خلال العصر المَمْلُوكِيّ (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧ م) ٨٣

د. علاء مصري النهر

الملابس الحربية الواقية من المواد الحارقة في العسكرية المملوكية (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧ م) ٩٩

د. أحمد محمد عطوة

تقنيات صناعة الملابس العسكرية المملوكية وإمكانية استخدامها لاستنباط نماذج لعمل متحف للأزياء العسكرية التاريخية ١١٣

د. إبراهيم حامد محمد الخولي

م. ريهام عبد العزيز الطنطاوي

تكتيكات الحصار في عصر دولة المماليك البحرية بين النظرية والتطبيق
(٦٤٨ – ٧٨٤ هـ/ ١٢٥٠ – ١٣٨٤ م)

د. محمد فوزي مصري رحيل

تكتيكات الحصار في عصر دولة المماليك البحرية بين النظرية والتطبيق (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ/ ١٢٥٠ – ١٣٨٤ م)

د. محمد فوزي مصري رحيل*

مقدمة

كانت دولة سلاطين المماليك في عصرها الأول (العصر البحري ٦٤٨ - ٧٨٤ هـ/ ١٢٥٠ - ١٣٨٤ م) أعظم قوة إسلامية، وواحدة من القوى العظمى العالمية، وهذه المكانة لم تنلها السلطنة من فراغ، لكن اكتسبتها بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها السلاطين العظام، وأشهرهم: المظفر قطز، والظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، والأشرف خليل، والناصر محمد ولدي قلاوون، تلك الجهود التي أسفرت عن وقف التدفق المغولي نحو الغرب، الذي سعى لالتهام ما بقي من بلاد المسلمين، وكذلك القضاء على الوجود الصليبي في الساحل الشامي، ناهيك عن إحياء الخلافة العباسية في القاهرة[1]، تلك المدينة التي أمست أعظم مدن العالم الإسلامي، وملجأ كل خائف، ومأوى كل شريد، وبغية العلماء والطلاب وأصحاب الصنائع.

ومما لا شك فيه أن المكانة الحربية للسلطنة المملوكية لم تأتِ من فراغ، لكنها جاءت بسبب النشأة العسكرية للدولة وأخذها بأحدث ما وصلت إليه علوم الحرب في ذلك العصر، ناهيك عن رعاية العلماء والتمكين لهم وبخاصة علماء الفنون العسكرية، الذين خفي علينا كثير من أخبارهم بسبب ما اكتنف عملهم من السرية. وقد تنوعت تكتيكات المماليك في معاركهم المفتوحة وكذلك في حصارهم للحصون، التي تهاوت واحدًا تلو الآخر. ونتيجة لكثرة ما فتح المماليك من حصون وبخاصة في الساحل الشامي؛ فقد تكونت نظرية لحصار الحصون وفتحها، وضع قواعدها كبار مدربي الجيش المملوكي، صاغوها في كتبهم حتى تكون مخزنًا للخبرة تستفيد منه الأجيال التالية.

وعليه، فإن هذه الدراسة تسعى للتعريف بنظرية تكتيكات الحصار التي قننتها كتب الحرب المملوكية، ومدى التزام القادة العسكريين بتطبيق ما جاء في النظرية من خلال تتبع وتحليل

عمليات الحصار التي قام بها الجيش المملوكي طوال العصر البحري، وتقييم مدى نجاح هذه التكتيكات في بلوغ الدولة المملوكية أهدافها من القيام بعمليات الحصار. هذا، وقد تنوعت المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة بين كتب الفن الحربي التي وصلتنا، مخطوطة كانت أو مطبوعة، بجانب كتب الحوليات التاريخية؛ عربية وأوربية، ناهيك عن المراجع الحديثة التي اهتمت بفنون الحرب في العصر المملوكي الأول، مثل: المؤلف القيم لمحمود نديم بعنوان «الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري»[٢].

تعريف التكتيك

التكتيك Tactic لغةً كلمة أعجمية إنجليزية الأصل انتقلت للغة العربية، والتكتيك في المصطلح العسكري هو فن استخدام القوات والأسلحة والمعدات أو بعبارة أخرى الأساليب التنفيذية للقتال[٣]، وقيل هو فن وضع الخطط الحربية للجيش في الميدان[٤]. ويقابل مصطلح التكتيك في كتب التراث كلمة الحيلة: «والحيلة: الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف في الأمور، وهي وسيلة بارعة تحمل الشيء على ظاهره ابتغاء الوصول إلى المقصود»[٥].

خريطة توضح تصفية الوجود الصليبي في الشام في العصر المملوكي.
نقلًا عن: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ٢٦٦.

إذن، وجد التكتيك أو الحيلة للاستيلاء على هدف عظيم محصن، وهو ما أوجب بذل الجهد سواء من الناحية العقلية للتخطيط أو من الناحية البدنية للاستيلاء على هذا الهدف. وبناءً على تعريف ابن منكلي[٦] فالحصن ليس نوعًا واحدًا، بل أنواعًا عديدة جمعها في عبارة واحدة حيث قال: «الحصون ليست هي القلاع الشامخة المبني عليها الأسوار فقط، بل هي القلاع والمطامير والجبال والغياض والمدن والخنادق والوحول والنجاد، كل هذه وما أشبهها حصون ومعاقل».

ومن الجدير بالذكر أن نظرية تكتيكات الحصار قد تبلورت في ثلاثة من مؤلفات محمد بن محمود بن منكلي المصري المتوفى (٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦ م): «الأدلة الرسمية في التعابي الحربية»، و«الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب»، و«التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية»[٧]، صاغها مما استفاده من مؤلفات أسلافه من علماء الفن الحربي، مثل: الحسن الرماح المتوفى (٦٩٥ هـ/ ١٢٩٦ م) صاحب كتاب «الفروسية والمناصب الحربية»[٨]، وأبي محمد الحسن العباسي المتوفى (٧٠٥ هـ/ ١٣٠٥ م) صاحب كتاب «آثار الأول وترتيب الدول»؛ ومما اكتسبه من خبرات خلال العمليات الحربية التي أكسبته شهرة ورفعة جعلته يصل لمنصب نقيب الجيوش في عصر الأشرف شعبان (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ/ ١٣٦٣ - ١٣٧٧ م). وتبنى هذه النظرية عدد من فقهاء فن الحرب المعاصرين لابن منكلي، مثل: محمد بن عيسى الأقصرائي المتوفى (٧٧٣ هـ/ ١٣٧١ م) صاحب: «كتاب نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية»[٩]، وتأثر بها من جاء بعده مثل عمر بن إبراهيم الأوسي الأنصاري الذي عاش في عصر السلطان المملوكي فرج بن برقوق (٨٠١ - ٨١٤ هـ/ ١٣٩٩ - ١٤١١ م) في كتابه «تفريج الكروب في تدبير الحروب»[١٠].

١) مجمل نظرية ابن منكلي في فتح الحصون

وضع ابن منكلي عددًا من القواعد العامة في وسائل فتح الحصون في ضوء توجيهات أساتذة فن الحرب السابقين له؛ أول هذه القواعد هي: الاستراق، ويقصد به استخلاص الموضع المراد الاستيلاء عليه من قبل القوة المهاجمة بغير قتال، ولذلك وسائل عدة منها: عرض عدد من المنافع على أهل الحصن من قبل المهاجمين، التلويح بما يمكن أن يتعرض له الهدف من مضار حال الهجوم واستخدام القوة، العسكرة قرب الهدف والتضييق عليه، رشوة حراس الأسوار بالأموال حتى يفتحوا الأبواب على حين غرة ليلًا أو نهارًا[١١]. ويفضل أبو محمد الحسن العباسي ذلك التكتيك مع البلاد الكبيرة، وهو ما استلزم جمع معلومات

كافية عن سكانها وتركيبتهم العرقية واختلافاتهم الدينية، فيعمد القائد أو السلطان لزرع الفتنة بينهم، وبخاصة بين قادة الطوائف المقهورة لتستقوي بالمهاجم على الطائفة القاهرة. وزرع الشقاق يكون برمي رقاع فيها كلام محكم كأنه الصدق، يؤلب أهل البلد على بعضهم، أو يعمد لمن ينشر الأخبار الكاذبة عن طريق النساء والصبيان، ويمكن طرد طائفة من الجند فيلجؤون للعدو مدعين الفرار بحياتهم ليبقوا فترة يمكنهم خلالها خداع أهل البلد أو الحصن، وكأنهم منهم، حتى إذا بدأ الهجوم طعنوا المدافعين في مقتل، وربما يستخدم التجار للقيام بنشر الأخبار الكاذبة وزرع الفتن في البلد المراد الاستيلاء عليه[١٢]، وربما يتجه البعض لإرسال كتب لأعيان أهل الحصن أو البلد لإيقاع الشك فيهم، أو إرسال كتب في سهام، بها وعود جميلة، لبعض الطوائف دون غيرها فتقع الفتنة[١٣].

الوسيلة الثانية كما يذكر ابن منكلي هي الوسيلة العنيفة الخشنة التي سماها «المكابرة والمكاثرة»، ولها أشكال كثيرة منها: الهدم والنقب، وحفر الأسراب[١٤] من تحت الأسوار أو التسلق للأسوار بالسلالم. والهدم يكون بالقوة إما من أسفل بإقامة أعمدة من الخشب، ثم تحرق فينهار السور أو الحصن، أو يجرى الماء لأسفل الأسوار فيحدث خللًا بها فتنهار، أو مهاجمة الحصون والأسوار بضربات المجانيق المكثفة، سواء بإلقاء الأحجار أو النيران المهلكة، أو مهاجمة الأبواب لكسرها أو حرقها، أو منع إغلاقها بعد فتحها بإلقاء الأحجار الكبيرة التي يصعب نقلها، أو إرسال الحيوانات الكبيرة لتملأ فتحة الباب مثل الفيلة أو الجمال فلا يمكن طردهم بسهولة، مما يسهل مهمة المهاجمين[١٥]. وحال اللجوء للوسائل الخشنة يفضل العباسي استهداف المواضع الضعيفة من الأسوار مع تدمير المناطق المحيطة لإيقاع الضرر الاقتصادي بالمنطقة وقطع الأقوات عنها ودس السموم في الصهاريج حتى تتسمم المياه، وربما يعمد المهاجم لإفساد هواء المنطقة بأدخنة الكبريت حتى تنتشر الأمراض[١٦].

٢) تطبيق نظرية تكتيكات الحصار

أ- تكتيك القصف المكثف بالمجانيق لمرافق الهدف

المنجنيق هو آلة حربية ثقيلة تستخدم لقذف الأحجار والسهام وقوارير النفط أو أي مقذوف آخر تجاه العدو[١٧]، وقصف المدن والحصون باستخدام المجانيق على رأس نظرية الحصار المملوكية، وسبب ذلك قوة هذه الآلة وكثرة أنواعها وآثارها الفعالة في إضعاف الأهداف - مدن وقلاع - بهدف هدم أسوارها وتدمير مرافقها حتى يستسلم المدافعون[١٨]. وقد عرف العباسي بأنواع المجانيق في عبارة جامعة قائلًا: «منه ما هو بلوالب، ومنه ما هو بدائرة وفيه ثقالات من الرصاص إذا دار فيها الرجال رفعت السهم فإذا تركت رمت، فلا تحتاج رجالًا كثيرة، وقد يتخذ بقسي كبار موتورة تجعل قبضتها إلى الأرض مشدودة في قواعد المنجنيق، وفي أوتارها حبال مشدودة إلى حلقة المنجنيق وتحرك بزيار قائم حتى تنفتح أوتارها، ويحرك الحجر في الكفة، ثم يرمى فتخرج أشد ما يكون، وإذا أراد الرمي بقدور النفط أو العقارب أو ما شابه فعل، فإذا كان ضعيفًا ثقّله بالرصاص والأحجار، وإن كان يرمي بالنفط والنار اتخذ له كفة من الزرد وحبلًا بسلاسل»[١٩]، ومن هذا النص يتضح أن المجانيق ستة أنواع: مجانيق قذف الأحجار، ومجانيق قذف السهام، ومجانيق قذف النفط والكرات النارية، ومجانيق قذف القنابل، ومجانيق قذف الأفاعي والعقارب، ومجانيق قذف الرمم والقاذورات[٢٠]. والمنجنيق يتكون من ثمانٍ وعشرين قطعة خشبية قابلة للفك والتركيب، تحمل على الجمال والبقر، وإذا كان المنجنيق ضخمًا يحمل على العَجَل الذي ربما يصل لمائة عجلة[٢١]. ومن تصفح المصادر المؤرخة للتاريخ الحربي لعصر سلاطين المماليك نلاحظ ذكر أنواع من المجانيق: المنجنيق القره بغري وهو مخصص لرمي الأحجار، المنجنيق الزيار وهو مخصص لرمي السهام، المنجنيق الإفرنجي أو المقلاعي وقد شاع استخدامه في الحصون الفرنجية زمن الاحتلال الصليبي ونقله عنهم المسلمون وتوسعوا في استخدامه، ويتميز بارتفاع القذيفة للسماء قبل سقوطها على الهدف[٢٢].

أدرك سلاطين المماليك وبخاصة الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م) أهمية المجانيق وقدرتها التدميرية، وبالتالي اهتموا بتجهيزها قبل عمليات الحصار، واختيار أفضل أنواع الأخشاب لبنائها، واختيار أمهر الرجال للعمل عليها، وشارك السلطان بنفسه أحيانًا في جرها لفترات طويلة[٢٣] رفعًا لهمة الجنود، فقبل حصار قيسارية Caesarea[٢٤] (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) أمر السلطان بيبرس بصناعة عدد من المجانيق مختلفة الأنواع منها: المغربية والفرنجية، ووقف يراقب الصناع، ويشد من أزرهم، ويحثهم على الإسراع حتى صنع أربعة مجانيق كبار وعددًا من الصغار، وصل عددها مجتمعة اثنين وتسعين منجنيقًا، وكتب إلى المدن القريبة يطلب منها المجانيق والصناع والحجارين، وأمر بصناعة كثير من السلالم، وفور الوصول لقرب عكا[٢٥] نصب المجانيق بمختلف أنواعها، والتي أخذت في ضرب المدينة في مواضع مختارة مؤثرة ساعدت على تسليم المدينة[٢٦]. وفي حصار أرسوف Arsuf[٢٧] بقيادة الظاهر بيبرس عام (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) استخدمت المجانيق المختلفة التي أصلت مباني المدينة بضرباتها المتتالية، التي كان يشارك فيها السلطان بنفسه

كأحد عامة الجنود؛ يحمل الأحجار اللازمة لضربات المجانيق بلا كلل ولا ملل. وبسبب تشجيع السلطان للعاملين على المجانيق وإكثار الجوائز لهم؛ صنع جندي يدعى كرمون أغا منجنيقًا يرمي بسبعة سهام أصاب المدافعين بكثير من الأذى، وكان القائد العام المسئول عن المجانيق هو الأمير عز الدين أيبك الأفرم[٢٨] الذي اجتهد في توجيه ضربات قاسية على مرافق المدينة ليل نهار[٢٩]، كما كان للقصف بالمجانيق دور كبير في فتح حصن عكار Akkar عام ١٢٧١ م[٣٠]. ومن الجدير بالذكر أن ابن أرنبغا الزردكاش قد أطلق على المجانيق التي ترمي بالسهام اسم كسكنجيل[٣١].

وفي حصار المنصور قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ/ ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م) لحصن المرقب Margat[٣٢] (٦٧٨ هـ/ ١٢٨٥ م) نصب اثني عشر منجنيقًا كبيرًا من أنواع: الفرنجية، والقرابغية، والشيطانية، بواقع ثلاثة من كل نوع ضمنت توجيه الضربات للحصن من جميع الجهات، والتي أخذت ترمي مختلف أنواع القذائف وبخاصة الحجرية والنارية «ما يتطاير شرره، ويتنوع ضرره»، وكان هدف القصف تدمير المجانيق الصليبية التي قامت بهجمات مضادة على المجانيق المملوكية[٣٣].

وكان لقصف المجانيق المكثف بالأحجار والنيران لأبراج أسوار طرابلس[٣٤] دور لا ينكر في تسليم المدينة عام (٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩ م)[٣٥]. ومن الجدير بالذكر أن عدد المجانيق المستخدمة بلغ تسعة عشر منجنيقًا حسبما روى ابن أيبك الدواداري نقلًا عن والده، منها ستة إفرنجية وثلاثة عشر قربغاوية[٣٦].

أما حصار عكا عام (٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م) فقد كان للمجانيق دور كبير في قصف مرافق المدينة المختلفة بأنواع مختلفة من القذائف مثل الأحجار الكبيرة[٣٧]، وذكر داوي صور المجهول في مزمنته أن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ - ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م) نصب مجانيق كبار سمى أحدها الغضبان الذي صوب قذائفه لحي الداوية[٣٨]، ونصب منجنيقًا آخر كبيرًا لم يعرف اسمه ووكل بقصف حي الإسبتارية[٣٩]، ووكل منجنيقًا آخر لضرب حي البيازنة، وغيره ضخم لقصف البرج الملعون من أبراج سور عكا، وكان من ممتلكات ملك عكا وقبرص هنري الثاني[٤٠]، واعترف حنا الفاليري (٦٨٤ - ٦٩٢ هـ/ ١٢٨٥ - ١٢٩٣ م)؛ مقدم الفرسان الإسبتارية، بالأثر الفعال لآلات القصف المملوكية، ومن بينها آلة سماها Corobonares كان لها الدور الأكبر في انهيار أسوار عكا في عدد من المواضع[٤١]. وقد بلغ عدد المجانيق المستخدمة في قصف عكا اثنين وتسعين منجنيقًا من أنواع متعددة منها: إفرنجي، وشيطاني، وقرابغا[٤٢]. وبسبب دور المجانيق الكبير في فتح المدينة مدح الشيخُ شهاب الدين محمود الحلبي[٤٣] الموقع السلطانَ الأشرف خليل بقصيدة طويلة، منها:

كـأنما كـــلُّ برجٍ حـوله فـلكٌ
من المجانيقِ ترمي الأرضَ بالشهبِ

وحطتَها بالمجانيقِ التي وقفتْ
أمـام أسوارِها في جَحْفَلٍ لَجَـبِ[٤٤]

وحين قرر السلطان الأشرف خليل وضع حد لأعمال العدوان من قبل مملكة أرمينيا الصغرى عام (٦٩١ هـ/ ١٢٩٢ م) حاصر قلعة الروم[٤٥] من قلاع أرمينيا؛ حيث نصب حولها ثلاثة وثلاثين منجنيقًا لمدة ثلاثة وثلاثين يومًا، تنوعت المجانيق بين إفرنجية وقرابغية وشيطانية، قصفت القلعة بشكل مكثف لكن لم يكن القصف كافيًا لتسليم القلعة، فتم نصب سلسلة على السور وتسلق الجند واستبيحت المدينة وصمدت القلعة، فأمر السلطان الأشرف حاكم حماة - الملك المظفر محمود الأيوبي (٦٨٣ - ٦٩٨ هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩٨ م) - بقصف القلعة بشكل مكثف؛ بسبب قرب مجانيق صاحب حماة من القلعة، وبمجرد ظهور الاستعداد للقصف بالمجانيق طلب مَن بالقلعة الأمان، وصارت من ممتلكات سلطنة المماليك وسميت بقلعة المسلمين[٤٦]. وبسبب الدور الكبير للمجانيق في حصار وفتح قلعة الروم أشاد بها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في قصيدة تهنئة الأشرف بفتح قلعة الروم حين قال:

كأن المجانيقَ التي قُمْـن حـــولها
رواعـد سُخْـط وَبْلُها النار والصخـرُ

أقامـت صـلاةَ الحربِ ليلًا صخورُها
فأكثرها شفـــعٌ وأقلُّهـــا وِتـــرُ

لها أسهـمٌ مثلُ الأفاعي طـــــوالُها
قَـواتلُ إلا أن قتلَها البتـــــــرُ[٤٧]

وفي عام (٦٩٧ هـ/ ١٢٩٨ م) في سلطنة حسام الدين لاجين (٦٩٦ - ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٦ - ١٢٩٩ م) استخدم المجانيق في حصار قلعة تل حمدون[٤٨] من بلاد الأرمن والتضييق على أهلها[٤٩]. وحين قرر الأشرف شعبان (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ/ ١٣٦٣ - ١٣٧٧ م) فتح بلاد الأرمن بشكل نهائي بسبب كثرة نقض الأرمن للعهود، أرسل حملة بقيادة نائب حلب أشقتمر الماردينى[٥٠]، فحاصر سيس عاصمة الأرمن، وكان للمجانيق القول الفصل في نجاح الحصار، حتى اهتمت المصادر بذكر معلم المجانيقية خليل العينتابي الذي أبلى بلاءً حسنًا في هذا الحصار، الذي انتهى بضم مملكة الأرمن للسلطنة المملوكية بشكل نهائي[٥١].

ب- تكتيك نقب الأسوار

يأتي في الأهمية بعد تكتيك القصف المكثف بالمجانيق تكتيك نقب الأسوار بغية هدمها. وقد أوضح ابن منكلي «أنه يستخدم لذلك الدبابات المحدودبة، والتي تأخذ عددًا من الأشكال مثل: الكلب الجالس، أو السبع، أو الزرافة، بحيث تكون رأس الدبابة محدودبة، فلا يثبت عليها ما يلقى، بل يذهب للأجناب دون ضرر، ويكون الجنب أوسع من الظهر بحيث تسقط الأحجار الموجهة للدبابة على الجانبين والأرض دون إعطاب الآلة، كما يجب أن تغطى الدبابة بمواد غير قابلة للاشتعال، حتى إذا اقتربوا من حائط الحصن أخذوا في النقب حتى قرابة عرض الحائط، ثم يضعون عرائق الخشب أعلى النقب وأسفل النقب حتى لا ينهار عليهم السور قبل تمام النقب. حتى إذا انتهوا من قدر النقب المطلوب دهنوا أخشاب النقب بالمواد سريعة الاشتعال، ثم يعودون للدبابات ويشعلون النار في عمد النقب، ويبتعدون سريعًا عن السور ليسلموا من تبعات الانهيار المفاجئ[٥٢]. ومع الجدران الحجرية يمكن أن يستخدموا قدورًا مصنوعة من الحديد مثقوبة من الأسفل، وتحشى بالفحم وتلصق بالأسوار، ويتم استخدام المنافخ حتى يحترق الحجر، ثم يرش بالخل الثقيف أو شديد الحموضة، حينها يتحول الحجر لتراب وغبار، وتحفظ المواضع التي انهارت، وتفتت حجارتها بالأخشاب، ثم تنقر مناطق جديدة، حتى إذا وجد القائد أن ذلك كافيًا يشعل النار في العمد فينهار السور»[٥٣].

طبق هذا التكتيك في حصار برج قريب من عكا عام (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) بحضور الظاهر بيبرس؛ حيث نصبت عليه الآلات وعملت فيه النقوب[٥٤]. وقبل حصار قيسارية Caesarea (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) أمر السلطان بيبرس بصناعة عددٍ من الدبابات التي نصبت على الأسوار، وفي سترها واصل النقابون العمل، وكان السلطان يتقدم بنفسه خلف إحدى الدبابات ذوات العجل؛ ليشاهد مدى التقدم في أعمال النقب بنفسه[٥٥]. وفي حصار أرسوف (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) طبق نفس التكتيك من نقب أبراج السور، ثم تكثيف رميات المجانيق المكثفة وتسلق الأسوار حتى تم بالفتح[٥٦]. وفي حصار صفد[٥٧] (٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦ م) التي كانت من أملاك الفرسان الداوية، نشط الجيش المملوكي في نقب السور من مواضع مختلفة، وبخاصة الأمير قلاوون، فقام الفرنج بحركة مضادة حين شعروا أن السور ساقط لا محالة؛ لإيقاع الأذى بالنقابين، فقاموا بنقب موضع من الداخل ليسقط الجدار على النقابين، فتصادف تقابلهم مع نقب قلاوون مما أدى لسقوط جزء من السور سمح بالقتال باليد بين الفريقين[٥٨]، حتى سقطت الباشورة (السور الخارجي) ثم تقدموا نحو سور القلعة ونقبوه حتى تداعت الأسوار، وأيقن المدافعون أن لا جدوى من الاستمرار في القتال فطلبوا التفاوض[٥٩].

كما لعبت النقوب دورًا لا ينكر في إضعاف سور حصن القرين Montfort Castle[٦٠] عام (٦٦٩ هـ/ ١٢٧١ م)، وكان من أملاك الفرسان التيوتون[٦١] الألمان، وبسبب شدة سور الحصن أعلن السلطان جائزة كبيرة لكل مَن يأتي بحجر مِن الحصن[٦٢]، وكذلك في حصار حصن عكار ٦٦٩ هـ كان لكثرة النقوب في سور الحصن دور في استسلام المدافعين وتسلم السلطان بيبرس له[٦٣].

ولدينا وصف حي لعمل النقوب في سور قلعة المرقب عام (٦٨٣ هـ/ ١٢٨٥ م) قدمه ابن عبد الظاهر قائلًا: «وانتهى النقب السلطاني وحشي بالأحطاب، وأوقد في يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول، فعملت النيران في وسط النقب في البرج الذي في قرنة الباشورة، وزحف المسلمون ليطلعوا الباشورة، واشتد القتال، وقصد المسلمون الصعود فما تمكنوا، فبطل الزحف وانفصل هذا النهار وسقط البرج»[٦٤]. وهذا البرج كان

رسم تخيلي لحصار المماليك لعكا عام ١٢٩١ م.
صورة إلكترونية متاحة عبر الإنترنت، ويكيبيديا، https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/1/1b/SiegeOfAcre1291.jpg

يعرف لدى الفرنجة باسم Tour de L'Eperon، وذكر مولر[٦٥] أنه البرج الخارجي الجنوبي، وأكد كنج وبلدوين مارشال على الأثر البالغ للنقوب في فتح حصن المرقب[٦٦].

واستغل النقابون – أحيانًا – فعل الطبيعة في تسهيل عملهم، كما حدث في حصار حصن اللاذقية شديد التحصين عام (٦٨٦ هـ/ ١٢٨٨ م)، وكانت المنطقة قد تعرضت لزلزال شديد أثر في كثير من القلاع وزعزع أسوارها، فاستغل الجنود المماليك بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي المناطق الأكثر تضررًا في السور ونشطوا في نقبها، مما فت في عضد المدافعين فعجّلوا بطلب الأمان[٦٧].

وفي حصار طرابلس Tripoli (٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩ م) نقبت كثير من النقوب[٦٨]، التي وظف في العمل بها ١٥٠٠ رجل حسب رواية ابن أيبك الدوداري[٦٩]، مما أدى لضعف كثير من النقاط في السور، وبخاصة ما عرف ببرج الأسقف الذي تصدع، وبرج الإسبتارية الذي انهار تمامًا، مما مكن الفرسان من دخول المدينة على أنقاضه فوق خيولهم[٧٠].

أما حصار عكا الأخير (٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م) فكان بحق ملحمة النقابين[٧١] باعتراف داوي صور المجهول في مزمنته بأن الأمير سنقر الشجاعي[٧٢] قام بدورٍ كبيرٍ في تلغيم برج الملك من أبراج عكا، كما قام بلغم سور الملك، وهو أحد قطاعات السور، وبسبب شدة ضغط المهاجمين ألقى المدافعون النار تجاه مناطق اللغم فانهار السور، ولغم المسلمون برج الكونتيسة بلوا Countess of Blois[٧٣]. وحين انهار البرج الجديد المسمى ببرج الملك هيو Barbican of King Hugh وصار كومة من الأحجار يصعب العبور منها، تحيل المهاجمون بإحضار أكياس من قماش القنب وملؤوها بالرمال، وفور حلول الظلام ألقى الرجال الرمال فوق أحجار البرج حتى صارت كالطريق المعبد، وتقدم عليه المهاجمون واستولوا على بقايا البرج ورفعوا فوقه أعلام السلطان الأشرف[٧٤]. وبسبب أهميتها ذكرت النقوب في قصيدة الشيخ شهاب الدين الموقع التي مدح فيها السلطان الأشرف خليل وهنأه بفتح عكا ومما قاله:

ورَضَتّها بنقوبٍ ذَلَّلَتْ شَمَمًا
منها وأَبْدَت مُحَياها بلا نقبِ[٧٥]

كما لجأ السلطان الأشرف خليل في حصاره لقلعة الروم لتكتيك نقب الأسوار، بعد أن طال الحصار لليوم العشرين، حين قام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي نائب دمشق بعمل برج خشبي فوقه قبة مغطاة باللباد، ومحصن الجوانب، وأدخل فيه الجنود للقتال بلا جدوى، فقرر الأمراء تأمين توصيل النقابين لأسوار الحصن الذين بلغ عددهم ثمانين حجّارًا معهم آلاتهم، ونشط الجنود في قذف المدافعين عن الأسوار من الأرمن برميات النشاب حتى يشغلوهم عن النقابين، لكن جدار الحصن كان شديد الصلابة فلم تكن النتيجة مرضية[٧٦]. لكن استمرت النقوب بشكل غير منقطع طوال فترة الحصار، وأشاد بذلك الشيخ أبو الثناء الحلبي في قصيدة تهنئة الأشرف بالفتح قائلًا:

ودارَتْ بها تلك النقوبُ فأشْرَفَتْ
وليس عليها في الذي فَعَلتْ حَجْرُ

فأضْحَت بها كالصَّبِّ يُخفي غرامَه
حذارِ أعاديه وفي قلَبِه جَمْرُ[٧٧]

ج- تكتيكات حفر الأسراب (الأنفاق)

يعد حفر الأسراب ثالث التكتيكات لإنجاح حصار المدينة أو الحصن؛ حيث أوضح ابن منكلي وغيره من فقهاء الحروب أنه يمكن حفر أنفاق أسفل أسوار المدينة أو الحصن إذا كان خندق المدينة غير واسع وغير مملوء بالماء، ويجب أن يتم التأكد من أن الأرض غير صخرية يصعب حفرها أو هشة سريعة الانهيار، ويمكن حفر السرب إذا كان الحصن قريبًا من النهر، ويتحيل المحاصرون لجري الماء في السرب فيؤدي لغرق مساكن المدينة أو الحصن. ويجب التمويه عند اتخاذ قرار حفر السرب حتى لا ينبته المدافعون عن الحصن فيحترزون، وذلك بستر فتحة السرب بباب من طين الأرض فلا يمكن إدراك عمل الحفر بسهولة. أما عن اتساع السرب فيكون ارتفاعه بمقدار سير الرجل واقفًا ومعه عدته وسلاحه، وربما يتسع ليسع الفارس راكبًا على فرسه، ويجب تقوية سقف السرب ليكون مقببًا فلا ينهار فوق المارين به. ويجب على الحفارين تقدير موضع خروج السرب حتى لا يخرج في موضع غير مفيد، فإذا صدق التوقع وخرج السرب في موضع مناسب من المدينة وتمكن الجنود من فتح الأبواب كان هذا هو المراد، وإذا أراد القائد إدخال الخيل فيجب ألا يقل اتساع السرب عن أربعة أذرع. وعند الخروج من السرب فإن هناك ترتيبًا طبيعيًّا يبدأ بناضحي النيران ثم الضاربين بالنشاب، ثم حاملي الرماح، على أن يكون ذلك في الليل، حتى يكون ظهورهم سببًا في ارتباك المدافعين عن المدينة، مما يمكنهم من الوصول للأبواب ويرهبون البوابين بالنيران معتقدين كثرتهم بسبب هول النيران، وإلا يقوم ناضحو النيران بإشعالها ثم تلقى السهام وتعمل الرماح ويتقدمون بهذه الصورة حتى بلوغ الهدف. وإذا تيسر الأمر تكون أقسام كل فرقة تحت قيادة قائد، يخرجون بالتتابع حتى يجتمعوا خارج السرب ويتوجهوا لإنجاز مهامهم متفرقين على أبواب المدينة، حتى إذا بلغوها يصيحون صيحة واحدة من كل مكان، فيعتقد مَن في المدينة أنها قد أُخذت[٧٨].
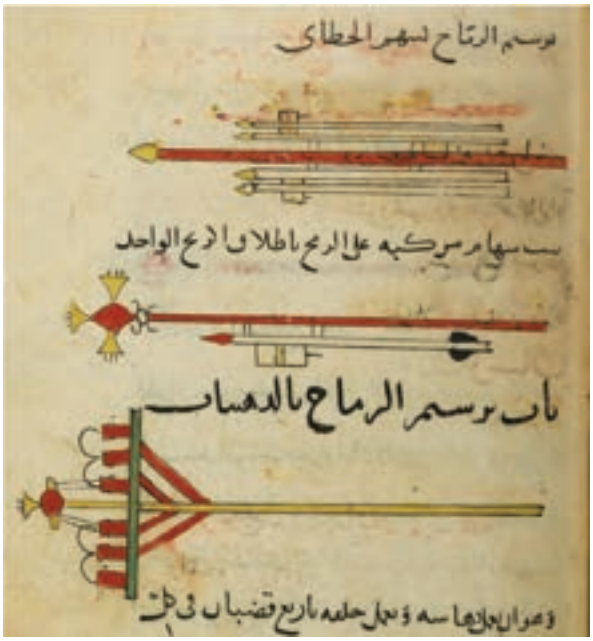
سهام ورماح نارية، عن مخطوط «الفروسية والمناصب الحربية»، ورقة ٧٥.

ومن المعلوم أن تكتيك حفر الأنفاق أو الأسراب بدأ في الاستراتيجية الحربية المملوكية مع حصار الظاهر بيبرس لأرسوف عام (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م)، حين أمر بحفر سربين من خندق المدينة إلى خندق القلعة، وسقّف السربين بالخشب حتى لا ينهارا فوق الجنود، وقد أنجز المهمة فرقة متخصصة في حفر الأنفاق اسمهم السرابون. ثم سلّم السلطان سربًا للأمير شمس الدين سنقر الرومي وعدد آخر من الأمراء، وسلّم السرب الثاني للأمير سيف الدين قلاوون الألفي وعدد من الأمراء، واستخدم النفقين في نقل الأحطاب قريبًا من سور القلعة، وهو ما أزعج الفرنج؛ فخرجوا لإحراق الحطب، فتصدى لهم قلاوون وأتباعه، وصبّوا الماء حتى خمدت النيران، ولما ملأ الخندق بالحطب حفر الفرنج نفقًا من داخل أرسوف حتى وصلوا لمكان الحطب في الخندق المحيط بأرسوف، وجاءوا بأوانٍ بها مواد متفجرة أوقدوا عليها النار ليلًا على حين غفلة من الجيش المملوكي، فاشتعلت نارٌ عظيمةٌ فشل المماليك في إطفائها بالرغم من حضور السلطان بنفسه؛ وهو ما أدى لاحتراق الحطب الموجود في الخندق. لكن السلطان بيبرس لم يتملكه اليأس، بل أمر بحفر سربين جديدين؛ الأول: كلّف به الأمير شمس الدين سنقر الرومي ومن معه، ويمتد السرب من حفات الخندق حتى البحر. وكلّف الأمير سيف الدين قلاوون ومن معه بأن يحفروا إلى آخر الخندق من الجهة الأخرى، وأن يحفروا من كل ناحية من هذه النواحي سربًا يكون حائط خندق الفرنجة ساترًا له، ويحفر في هذا الحائط أبواب يرمى التراب منها، وينزل في السرب حتى يتساوى الخندق بالأرض. ووكّل بهذه المهمة عز الدين أيبك الفخري، وقد أحضر المهندسين الذين نفذوا الأمر على خير ما يرام، ونجحت المهمة وصارت الأسراب مصدر إزعاج مستمر للمدينة؛ حيث وُجِّهت ضربات موجعة للجنود الذين جرءوا على الخروج من الأسوار، كما اشتبك السلطان نفسه معهم مرارًا حين تفقُّده لأبواب الأنفاق التي فُتحت قرب أسوار المدينة؛ إذ إنه بعد نجاح حفر السرب كانت ترتفع رابية ترابية يمكن الاحتماء بها حال رمي الخارجين من أسوار المدينة في قيامهم بهجمات مضادة[٧٩].

وفي عصر المنصور قلاوون أثناء حصار المرقب (٦٧٨ هـ/ ١٢٨٠ م) كان لحفر الأسراب دور لا ينكر في التعجيل بنهاية الحصار كما قال ابن عبد الظاهر: «وخيّل الله للفرنج أن النقوب في بقية الأسوار... وأن النقوب تخرج إلى الخنادق ومنها الأبراج وتتعلق حينئذ في الأسوار، وكانت النقوب قد أخذت من تحت الخنادق في أسربة إلى تحت الأبراج والفرنج لا يشعرون بذلك، فاطلعوا على ذلك فسقط في أيديهم»[٨٠]. وكذلك في حصار طرابلس أمر المنصور قلاوون بحفر كثير من الأسراب من خارج المدينة لداخلها، مما كان له دور في تسليم المدينة[٨١].

د- تكتيك ردم الخنادق

يستخدم هذا التكتيك إذا كان الخندق المحيط بالمدينة غير مملوء بالماء؛ حيثُ تدفع الأحطاب للخندق وبعدها التراب، وهو ما يكون ناجعًا في سرعة ردم الخندق، كما أنه يقلل فرصة إحراق النار للحطب، ويستعان في ذلك بكثرة من الفَعَلة، على أن توفَّر لهم الحماية من قِبل النشابة حتى لا يتعرضوا للهجوم من المدينة أو الحصن، ويتحركون خلف سترٍ من خشب على طول القامة، ويبسط بين عارضتين في طرق كلٍّ منهما بكرة، والعارضتان عند طرفي الحجاب، وعلى العارضتين ثلاث سلالم من خشب، أعلاها مسند إلى الحجاب ليكون الحجاب ساترًا للفَعَلة، يدفع من أمامهم وهو يجري على البكرتين، فإذا وصلوا إلى شفير الخندق صعدوا على السلالم الثلاث إلى منتهى مستوى رءوسهم ليرموا التراب، والنشابة تحميهم وتدافع عنهم[٨٢].

وإذا كان الخندق واسعًا مملوءًا بالماء يحتمل جريان المراكب، يبذل المهاجمون جهدهم لسكر الماء أي وقف جريانه، وذلك من خلال عقد جسر من الأطواف، وكل طوف مكون من عدد من الألواح المربوطة معًا تجهز على الشاطئ مسبقًا، ثم تجر للخندق وتشد لبعضها بالقلوس، وهي حبال الليف الغليظ، فإذا أراد القائد أن يطمر الخندق حينها يقوم الفَعَلة بإلقاء الطوب والقصب وسائر أنواع الحطب طبقات بعضها فوق بعض؛ حتى يرسب لأسفل، فإذا علا عليه الماء ألقي التراب حتى يحتمل المشي بالأقدام، ثم الخيل لتعبر للطرف الآخر.

ويمكن بناء جسر من المراكب والزوارق تشد بعضها إلى بعض على طرف الخندق ويبنى فوقها المجان أي سواتر الحماية، وتشد إلى بعضها بالقلوس، ويوكل شخص بعقد القلوس على أن يكون في زورق فوقه دبابة تستره حتى لا تؤذيه ضربات المدافعين، وإن تيسر بناء عدد من الجسور كان أفضل[٨٣].

وقد احتل تكتيك ردم الخنادق مكانة لا تنكر في تكتيكات الحرب المملوكية، بسبب حرص أصحاب المدن والحصون الشامية على إحاطتها بخنادق كخط دفاعي قبل سور الحصن أو المدينة. ففي عام ٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م حاصر الظاهر بيبرس قيسارية، وكان لها عدد من الخنادق المحيطة بها وكانت غير مملوءة بالماء، فتدافع الجنود وبذلوا الجهد حتى ردموها ووصلوا للأسوار[٨٤]، وتكرر الأمر في أرسوف حين بذلت جهود جبارة لردم الخنادق المحيطة بالمدينة بالحطب والتراب ليمر عليها الجنود المحاصرون، وكان السلطان مشاركًا في ذلك بنفسه حاملًا للأحجار والتراب، لكن الأمر لم يكن هينًا؛ حيث نجح المدافعون مرارًا في إبطال وسائل ردم الخندق، لكن السلطان وأمراءه بذلوا جهودًا كبيرة حتى نجح الأمر[٨٥].

ولدينا مثل ممتاز لتطبيق تكتيك ردم الخنادق في حصار مدينة عكا عام (٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م)، وذلك من رواية الأمير بيبرس المنصوري: «لمحت برجًا من أبراجها قد أثرت فيه المجانيق، وأمكن أن يتخذ منه طريق، وبينه وبين السور فسحة مكشوفة ظاهرة، لا يمكن السلوك فيها؛ لأن الجروخ – قاذفات السهام – مسلَّطة عليها، إلا باتخاذ ستارة تطولها وتشملها، وتقي من يدخلها، فعمدت إلى اللبود فجمعتها جمعًا، ولفقت بعضها مع بعض لفقًا، فتصوَّر منها سحابة كبيرة طولًا وعرضًا، ونصبتُ تجاه البدنة المهدومة من البرج صاريين من كلا الجانبين، وجعلت على رءوسهما بكرًا كبكرات المراكب وحبالًا يتمكن بها الجاذب، ثم جذبت تلك السحابة المتَّخذة من اللباد، فقامت كأنها سد من السدود، وأتقنت ذلك في جنح الليل وهم غافلون عنه، فلما أصبحوا ورأوا ذلك الحجاب قصدوه بالمجانيق والنشاب، فصارت الحجارة إذا وقعت فيها يرتخي اللباد تحتها فيبطل زخمها، والجروخ إذا رمتها لا تنفذ سهامها، فتمكنا من المرور، ووجدنا سبيلًا إلى العبور، وضرب بيننا وبين الأعداء بسور، وشرعنا في ردم الخندق الذي بين السورين بمخالي الخيل مملوءة بالتراب، مع ما تيسر من الأخشاب، فصار طريقًا سالكًا، وكان رأيًا مباركًا. وسمع به السلطان فأعجبه، وركب بنفسه وحضر بالكوسات والطبلخانات، وضربت عند الصباح، ولاحت تباشير الفلاح، وحصل الزحف»[٨٦].

كما أقر داوي صور المجهول في مزمنته بالأثر الكبير لهذه الستارة وأشباهها، والتي نصبت وتحركت نحو سور مدينة عكا ليلة بعد ليلة؛ حيث استغل المماليك ستر الظلام في تحريك الستارة ناحية السور بشكل تدريجي حتى وصلوا في الليلة الثالثة لحافة خندق المدينة، «وحمل كل رجل من الذين كانوا على ظهور الخيل أربع إلى خمس حزم على رقاب خيولهم، ورموهم خلف السواتر، وعند حلول الليل وضعوهم أمام السواتر وربطوا حبلًا على القمة، وأصبحت الأكوام مثل جدار ما من منجنيق يمكن أن يؤذيه، وقد رمينا عليه من خلال بعض آلاتنا المتوسطة، وقصفناه من دون أثر»[٨٧].

هـ – تكتيكات الهجوم بالسوائل سريعة الاشتعال أو الأدخنة السامة

ويكون ذلك بتجهيز مادة كيميائية سائلة سريعة الاشتعال تعرف باسم «الماء المدبر»، مكونة من الكبريت الأصفر المسحوق، والنفط الأزرق، وعدد من المواد الأخرى، توضع في جرار خُضَر، وتدفن لفترة تقترب من الأربعين يومًا، والمحلول الناتج يسمى بالماء المدبر، وهو نتن جدًّا سريع الاشتعال[٨٨]. كما يمكن صناعة أنواع معينة من المواد الكيميائية التي تحدث دخانًا سامًّا يؤدي إلى الاختناق والوفاة، ويمكن إلقاء المادة على أحطاب القوم التي تستخدم في الطبخ، وبمجرد إشعال النار فيها تتصاعد الأدخنة المميتة[٨٩]. وتستخدم المواد السائلة الكيميائية سريعة الاشتعال في أغراض ثلاثة:

عن «الأنيق في المجانيق»، ص ١٠٧.

• هدم جدار بالماء المدبر

يهدم الجدار بقذف هذا المخلوط على الباب أو الجدار في يوم تكون فيه الريح على العدو، وبمجرد وصول المقذوف للهدف يسرع النفاطون بالنار والنفط، فيشب حريق هائل يؤدي لانهيار الأحجار محدثة صوتًا كصوت الرعد، وبعد مدة قصير ينهار البناء، فإن بقي شيء منه كُررت العملية من رمي المخلوط الكيميائي والنفط والنار فيحترق ويحترق ما في داخله، ويموت كل من يشم الرائحة النتنة الناتجة عن حريق المخلوط وانتشاره، على ألا يدخل أحد هذا الموضع إلا بعد ثلاثة أيام[٩٠]، والجدار المتخذ من اللبن أكثر تأثرًا وأسرع انهيارًا من جدار الحجر؛ حيث يعمل الماء المدبر فيه مع نار النفط فيتحول إلى تراب[٩١]. غير أن المصادر لم تصرح باستخدام هذا التكتيك في عمليات الحصار المملوكية، لكن ذلك الصمت لا يعد دليلًا على عدم الاستخدام، وربما تكون المشكلة من المؤرخ الذي عد هذا الأمر غير جدير بالتسجيل.

• فتح باب بالماء المدبر

يكون بإلقاء الماء المدبر سريع الاشتعال على الباب، ويتبع بنار النفط، فما يلبث أن يذوب الحديد من فعل النيران وينهار الباب على من هم خلفه وأمامه[٩٢]. وقد وصف حسن الرماح تركيبة أخرى مكونة من القطران والزفت وزيت الكتان يخلط مع شحم الماعز وشحم البقر، ويوضع في قنينة تقذف على الباب يتبعها النفط المشتعل، فتحدث أثرًا محمودًا في ضعف الباب[٩٣].

طُبق هذا التكتيك حين حاصر الظاهر بيبرس قيسارية (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) حين أحرق الجنود أبواب السور الخارجي للمدينة في أول الحصار[٩٤]، وفي المراحل الأخيرة أحرقوا أبواب القلعة[٩٥]، كما أحرق الظاهر بيبرس باب قلعة عثليث عام ٦٦٣ هـ فأجبروا حماتها على الفرار[٩٦]، وتكرر الأمر مع أرسوف، فحين سقطت الباشورة أو الأسوار الخارجية توجهت الضربات مباشرة بالنيران على الأبواب[٩٧]، وذلك بإلقاء السوائل سريعة الاشتعال متبوعة بالنفط المشتعل. وفي حصار صفد (٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦ م) ذكر ابن عبد الظاهر صراحة: «ورمى الزراقون قوارير نفط في الباب، فاحترق»، فمنح السلطان جائزة كبيرة لقائد الهجوم[٩٨]. وتكرر الأمر نفسه في إحراق باب حصن صافيتا Safphet (٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠ م) حين دفع للباب قدور من القطران محمولة على عجل سهل إشعال النار فيها[٩٩]. وفي حصار الأشرف خليل لعكا ألقي النفط وأضرمت النيران في أبواب المدينة حتى سقطت من فعل النار[١٠٠]، وهذا يدل على استخدام الماء المدبر والنفط المشتعل.

• إجبار السكان على الفرار

يطبق هذا التكتيك إذا أراد القائد أن يجبر المدافعين عن الحصن على الفرار بأرواحهم؛ حيث يقوم بجمع كم كبير من الحطب، وينتظر يومًا تكون فيه الرياح شديدة في اتجاه الحصن، ويأمر النفاطين أن يلقوا المادة الكيميائية شديدة الاشتعال على الحطب، ويتبعوه بالنار والنفط، فإن أهل الحصن إذا شموا الرائحة والدخان ماتوا ولم ينجُ منهم إلا من أسرع بالفرار؛ لأن الدخان الناتج يحدث ظلمة ورائحة نتنة وحرارة شديدة[١٠١].

وفي حصار صفد صنع من النفط ومواد أخرى مادة كيميائية وضعت على رءوس السهام والرماح، ووزعت على رماة النيران أو الزراقين لإلقائها على أهل صفد، عرفت بالسهام والرماح المطيبة أي المعالجة كيميائيًّا[١٠٢]، وأرجّح أنها كانت تلقى مشتعلة لإحداث رعب لأهل صفد؛ لأن كلمة مطيبة أي مدهونة بالطيب، وهنا هي مدهونة بالنفط المعالج كيميائيًّا. وفائدة أن يلقى مشتعلًا وخاصة بالليل أن تكون آثاره النفسية أكثر رعبًا من آثاره المادية. ويبدو أن البعد النفسي كان الغرض الأساسي؛ بدليل أن ابن عبد الظاهر لم يذكر آثارًا مادية لإلقاء هذه السهام والرماح المطيبة. وفي عام (٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م) حين انهارت أسوار عكا الخارجية تقدم المماليك داخل المدينة وقاموا بإلقاء النفوط والسهام؛ مما أدى إلى فرار كثير ممن حاولوا التصدي للزحف المملوكي في أنحاء المدينة[١٠٣]. ويقر المؤرخ الداوي المجهول أن رمايات النفط المملوكي أحدثت دخانًا كثيرًا، حتى صعب على الإنسان أن يرى الآخر، واستغل المماليك الدخان في إطلاق

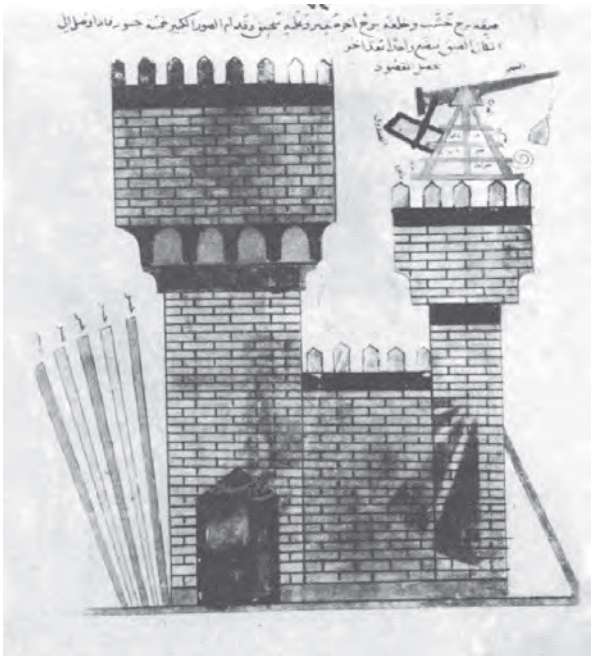

عن «الأنيق في المجانيق»، ص ١١١.

زخات من السهام على مناطق تجمع المدافعين، ففتكت بعدد كبير منهم، وقد ذكر داوي صور المجهول مثلًا حيًّا على قدرة رميات النفط على إحداث آثار مرعبة؛ حيث قال: «وحدث أن غلامًا إنجليزيًّا أصيب إصابة بالغة بالنفوط التي كان المسلمون يقذفونها؛ فاحترق معطفه الخارجي أولًا، وحيث لم يكن هناك من يساعده احترق وجهه ثم جسمه كله، وقد احترق كمرجل أسفلت، وقد مات هناك»[١٠٤].

و- تكتيك زرع الفتنة بين المدافعين

ويستخدم هذا التكتيك حال كُبْر الهدف، أو كثرة الخسائر المتوقعة حال الحصار. ويستلزم ذلك جمع معلومات كافية عن سكان الهدف المراد حصاره، وتركيبتهم العرقية، واختلافاتهم الدينية، فيعمد القائد أو السلطان لزرع الفتنة بينهم، وبخاصة بين قادة الطوائف المقهورة لتستقوي بالمهاجِم على الطائفة القاهرة، وذلك يكون برمي رقاع فيها كلام محكَم كأنه الصدق، يؤلب أهل البلد على بعضهم، أو إرسال كتب في سهام بها وعود جميلة لبعض الطوائف دون غيرها فتقع الفتنة[١٠٥].

فارس يهاجم بالنيران بهدف حرق الشجر الأخضر، عن مخطوط «المخزون جامع الفنون»، ورقة ٦٣.

ومن خلال رصدنا لعمليات الحصار رصدت ثلاث حالات لاستخدام هذا التكتيك؛ أولها: حين حاصر السلطان بيبرس صفد Safad (٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦ م)، ووجد أن استخدام القوة وحدها سوف يكلف الكثير، فقرر زرع الفتنة بين المدافعين المكوَّنين من الفرسان الداوية والسريان أو المسيحيين الشرقيين من الرماة والسرجندية المشاة؛ وذلك بإعلان الأمان للسريان، والسماح لهم بالخروج من القلعة سالمين، والاكتفاء بتوجيه ضرباته للداوية دون غيرهم، وهو ما فت في عضد المدافعين، وأحدث بينهم فتنة دفعت الفرسان الداوية لطلب الأمان[١٠٦].

والثانية: حين حاصر السلطان الظاهر بيبرس قلعة الشقيف Beaufort[١٠٧] (٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨ م)، وقعت في يده بعض الكتب من عكا إلى المدافعين عن الحصن، ينبهونهم لصيانة عدد من الأماكن في الحصن وغيرها من نصائح الدفاع، فأحضر السلطان من يجيد كتابة الفرنسية القديمة، وطلب منه تسطير كتاب به علامات بين أهل الحصن ومراسليهم في عكا، كانت موجودة في الكتاب المستولى عليه يحذر فيه قائد الحصن (الكمندور) من وزيره، ويأمره إن احتاج الأموال أن يأخذها من شخص سماه في الكتاب، وأرسل الكتابين بطريقة توحي أنهما جاءا إليهم رأسًا من عكا، وبمجرد وصول الكتابين وقعت فتنة في الحصن، ومع تشديد الضغط بضربات المجانيق طلب المدافعون التفاوض[١٠٨].

الحالة الثالثة: أثناء حصار حصن الأكراد Carc des Chevaliers عام (٦٧٠ هـ/١٢٧١ م) أمر السلطان الظاهر بيبرس بكتابة رسائل مزورة، وكأنها قادمة من طرابلس؛ تأمر حامية القلعة من الإسبتارية بالتسليم، فطلبوا الأمان، وتسلم السلطان بيبرس الحصن[١٠٩].

ز- تكتيك إطلاق الأمان لمن في الحصن أو المدينة

وهو من التكتيكات المهمة حال استماتة المدافعين عن الحصن أو المدينة، فيعلن الأمان على الدماء وما زاد حسبما يرى القائد، «فإن البدء بالأمان أفراد أهل المدينة لأهل الرأي والباس والنجدة بما عندهم وتركهم وخذلانهم إياهم»، وهنا تفتر العزائم وتسلم المدينة[١١٠].

ففي حصار أرسوف (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م)، وبعد أن تأثرت المدينة بشدة من القصف المستمر؛ سلَّم السلطان رايته للأمير سنقر الرومي ليؤمِّن بها الفرنج من القتل، فلما شاهد المدافعون من الفرسان الإسبتارية ذلك توقفوا عن القتال، وشرع السلطان في إخراجهم منها[١١١].

وفي مدينة يافا كان السلطان بيبرس كريمًا إلى أقصى حد مع المدافعين عنها حين طلبوا الأمان، عقب اقتحام المماليك لها

ومن كل الجهات؛ حيث أمّنهم على أنفسهم وأموالهم، وعوّضهم عما نُهب منهم أربعين ألف دينار، ونقلهم إلى عكا[١١٢]. وبذلك استعاد السلطان واحدًا من أهم الثغور الفرنجية التي كانت مرسى السفن الأوروبية الداعمة للكيان الفرنجي المحتل؛ فكان الخلاص من أهلها بأقل الخسائر، ولا شك أن تقليل الدماء يُذهِب الغيظ إلى أقصى حد. أما في حصار الشقيف، ومع تشديد ضغط المماليك، ويأس المدافعين عن الحصن من الحصول على أية نجدة من المعاقل الصليبية القريبة، فقد طلبوا الأمان على نفوسهم، وأنهم يؤخذون أسرى، ويطلق النساء والأطفال لينتقلوا إلى عكا، فوافق السلطان على ذلك[١١٣].

وكان المنصور قلاوون مدركًا تمامًا لأهمية قبول طلب الأمان، ومن ثم حين حاصر المرقب (٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩ م)، وطلب من به من الإسبتارية الأمان ليخرجوا بلا مال ولا سلاح؛ وافق، وحول تقدير السلطان للموقف يقول ابن عبد الظاهر: «فاقتضى الحال أن مولانا السلطان رأى اختيار الغنيمة بهذا الحصن العظيم أولى من التطويل في حصار، وأن التأخير له آفات، والأولى الاهتمام بما هو آت، وأن الفرنج الذين بهذا الحصن، إن سلموا من نار السيوف لا يسلمون من نار الحتوف، فأجابهم إلى العفو والأمان»[١١٤]؛ وعليه فقد تركت الحامية الحصن، حاملين أمتعتهم على ٥٥ بغلًا، ومعهم ٢٠٠٠ قطعة ذهبية بعد حصار دام ٣٨ يومًا[١١٥].

ولا شك أن إحساس المحاصَر أنه سيخرج من مكان الحصار سالمًا بلا أذية، يهوِّن عليه طلب الأمان، مع تشديد الضغط من قبل المهاجِم، لكن إن فقد المدافع ذلك الأمر، وعلم أنه مقتول، فسوف يقاتل قتال اليائس من الحياة، وحينها تكون الخسائر كبيرة.

ح- تكتيكات تحفيزية

وهي الوعود الجزيلة التي يعدها القائد لجنوده ليحفز هممهم للقيام بالأعمال الخطيرة، مثل الوعود بالأموال أو بقسم من الغنيمة، ويجب أن يلتزم القائد بما وعد وينفذه فور نجاح المهمة، ولو قال الأمير: من دخل من باب هذا الحصن فله ألف درهم فاقتحم قوم فدخلوا بابًا، وله باب آخر؛ يستحق كل واحد ألفًا، ولو قال: من دخل فله ربع الغنيمة، فدخل عشرة فلهم الربع الواحد؛ لأن الربع اسم لجزء واحد من المال، وهو معروف غير متعدد[١١٦].

طبق السلطان الظاهر بيبرس هذا التكتيك في حصاره المؤقت لأسوار عكا عام (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م)، فقد حضر إلى السلطان رجل اسمه حسن أو حبش، بفارس طعنه ورماه، وبدا أنه فارس كبير المكانة بدليل كثرة الصراخ والعويل على أسوار عكا فور مقتله، وعلى الفور قدم له السلطان بيبرس منديله بتقدمة

سهم ناري لحرق المراكب، عن مخطوط «المخزون جامع الفنون»، ورقة ٢٤.

«أربعين فارسًا»[١١٧]. كذلك في حصار قيسارية كان يخلع على المجتهدين في القتال، ومنهم الأمير عز الدين الأفرم، لاجتهاده في عمل المنجنيقات، وكذلك على العاملين على المنجنيقات أنفسهم[١١٨]. وفي حصار صفد (٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦ م) قام شخص يدعى ترك الظاهري بدورٍ كبيرٍ في حرق باب حصن صفد، فكانت جائزة السلطان له عشرة آلاف درهم، وفرس قيمته كبيرة، وخِلعة من ملابس السلطان وجوشن[١١٩]، كما فرّق على النقابين لجدار صفد ٣٠٠ دينار، وصار كل من أنجز شيئًا حسنًا، جزاه فورًا بالحسن[١٢٠]. وفي حصار أنطاكية عام (٦٦٦ هـ/ ١٢٦٧ م) تمكن جندي اسمه بيبرس المظفري - من جنود الأمير شمس الدين سنقر الأشقر - من أسر كنداصطبل Constable[١٢١] أنطاكية، فكانت مكافأة السلطان له أن سمح له بحمل رنك أو شعار هذا القائد حتى وافته المنية، وأهداه عشرة من الطواشية[١٢٢]. وفي حصار الأشرف خليل لقلعة الروم عام (٦٩١ هـ/ ١٢٩٢ م) قام أحد الجنود يسمى أقجيا بتسلق السلسلة التي نصبها الأمير علم الدين الشجاعي، ووصل لقمة سور قلعة الروم، وقاتل قتالًا شديدًا والسلطان ينظر إليه، والعساكر تثني عليه، فقرر له

السلطان خلعة تشريفًا له ومنصب أمير، فطلب أقجيا رتبة «أمير سلاح»، وأن تمنح الإمرة لابنه محمد، فأعطاه السلطان إقطاعًا وطبلخانة[١٢٣].

ط- تكتيك تسلق الأسوار

وهو إيجاد وسيلة لتسلق السور من خلال تثبيت سلاسل في السور تمكّن الجنود من تسلقه، وهو ما أقره فقهاء الحرب كما قدمنا؛ أو نصب السلالم لتسور سور الحصن أو المدينة. وقد أوضح ابن أرنبغا الزردكاش[١٢٤] أن السلالم أنواع؛ منها نوع له قائمتان يسندان بعضهما بعضًا، يمكن تقريبهما من السور حتى يصعد المقاتلون فوق الشراريف أو الجزء العلوي من السور، وحينها يتحيل المهاجمون بإلقاء سلم بشكل أفقي يصل بين السور الخارجي والسور الداخلي يمكّن الجنود من العبور فوقه لإتيان الحصن من أعلى، وربما تلحَق السلالم ببرج خشبي متحرك، فوقه منصة تمكّن من القتال عليها، وتدفع بشكل تدريجي نحو السور.

لاحظنا تطبيق هذا التكتيك في حصار الظاهر بيبرس لقيسارية، حين استخدمت السكك الحديد الخاصة بالخيل في تثبيتها بالسور، وتسلق الجنود عليها حتى اعتلوا السور، ورفعوا أعلام السلطان؛ مما أدى لهروب المدافعين عن المدينة للقلعة[١٢٥]. طُبق نفس الأمر في صفد[١٢٦]، وأثناء حصار الأشرف خليل لقلعة الروم تفنن الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في عمل سلسلة عظيمة علّقها بأسوار القلعة، مكّنت الجنود المماليك من تسلق السور، ودخلوا القلعة من أعلاها، ورفعوا عليها أعلام السلطان[١٢٧].

٣) تكتيكات وردت نظريًّا ولم تطبق

تكتيكات كتابية ودعوية

ذكر ابن منكلي تكتيكًا غاية في الغرابة: يكتب في شقفة فخار من مسقاة دجاج قد شربوا منها، ثم يتلو قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[١٢٨]، ويكتب (أ ب ت ث ج) إلى آخرها، يبتدئ بالياء إلى الألف، وتكون مقلوبة، فإذا انتهت الكتابة على الشقفة تترك لتجف، وبعد جفاف الكتابة تدق وتذر في مكان في الحصن التي للكفار، وقد جربه ملوك بني أمية. ومن مجربات القدماء يؤخذ جرو نمر وجرو كلب، ويصحنان ويخلطان حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر، ويوضع خفية في حصن الكفار أو في ربضهم، فإن القتال يقع بينهم بقدرة الله تعالى. ومما يكتب لهدم سور العدو المخذول: يكتب في ورقة سيسبان، وتكون الورقة خضرة، ويتلو عليها الأسماء المعظمة سبعة آلاف مرة، وتدفن تحت سور العدو المخذول؛ فإن الله تعالى - جلّت قدرته - يحل بالعدو هَدْم سورهم إن شاء الله تعالى، وهذه الأسماء (الشديد، ذو القوة، المتين، السريع، الرقيب، المقتدر، القادر، الوارث، الباعث، الشهيد)[١٢٩].

ليس لدينا نص صريح يشير لتطبيق هذا التكتيك، لكن ربما نفّذ هذه الأمور الملتحقون بالجيش من المتطوعة، من الفقهاء والصوفية الذين يخرجون لصحبة الجيوش للقيام بالشحذ المعنوي دون أن يكلفهم السلطان، ففي حصار أرسوف حضر الحصار العباد والفقهاء والفقراء أي المتصوفة، ومنهم الشيخ علي المجنون والشيخ إلياس، وقد أثلج ذلك قلب السلطان بيبرس الذي أمر بإعطاء هؤلاء المتطوعة كثيرًا من العطايا وخاصة الشيخ علي البكّاء، الذي أمر السلطان بإعطائه مبلغًا كبيرًا من المال؛ تبركًا بهم، والتماسًا لصادق دعواتهم المستجابة[١٣٠]. وحضر حصارَ صفد من الفقهاء المشاهير الشيخُ صالح قاضي قضاة المالكية في دمشق[١٣١]. وكذاك حضروا في حصار الشقيف، ومن بينهم الشيخ شمس الدين الحنبلي؛ قاضي القضاة بالشام، والشيخ تقي الدين بن الواسطي، «واجتهد كل واحد منهم في الجهاد على قدر حاله»[١٣٢]. والأرجح لديّ أن الذي طُبق هو الدعوات الطيبة بالنصر للمسلمين من قبل الرجال المعتقد فيهم التقوى.

٤) تكتيكات طُبقت ولم تشملها النظرية

أ- الأرض المحروقة

وهو التوجه للنقاط القوية للعدو، والقيام قربها بمظاهرة عسكرية تدمر المزارع والطواحين، وتقتل الشارد من الجنود الأعداء. ويتحقق من ذلك عدد من الأهداف؛ إظهار قوة السلطنة، رفع معنويات الجنود المماليك وخفض معنويات الجنود الصليبيين، حرمان الأعداء من استغلال الثروات المحيطة بالمدن الكبرى وبخاصة الحبوب؛ وهو ما يؤثر سلبًا عليهم إذا أرادوا حشد الجيوش أو تخزين الطعام حال الهجوم المملوكي.

وهذا التكتيك اشتهر به الظاهر بيبرس قبل الفتوح الكبيرة، فحين قرر فتح قيسارية وأرسوف عام (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) كان أول ما قام به الهجوم على ظاهر عكا، وتدمير كل المزروعات والطواحين، وأشعل النار في المنطقة المحيطة بها. وبذلك قضى على ما زعمه الصليبيون من عدم قدرة أية قوة من الاقتراب من عكا، كما اختبر جزئيًّا قدرة الصليبيين على الدفاع عن معاقلهم، فوجدهم يجبنون عن الخروج من حصونهم ولقائه، ومن ثم كان هذا الهجوم نوعًا من التدريب للقوات المملوكية قبل حصار قيسارية ومن بعدها أرسوف[١٣٣]. كرر الظاهر بيبرس الأمر

حين قرر فتح صفد، فتوجه فجأة إلى عكا، وقام بمظاهرة حربية في ضواحيها، وعمد فيها لضرب اقتصاد عكا في مقتل بتخريب الطواحين ومعاصر الزيت، والاستيلاء على قطعان الماشية، ولم يكتفِ السلطان بذلك، بل أمر بعموم الغارة على سائر ضواحي المدن والقلاع الصليبية؛ بغية تحييدها حين التوجه للهدف الرئيسي، وهو صفد[١٣٤]. وتكرر الأمر عام (٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧ م) حين هاجم ضواحي عكا، وقتل كثيرًا ممن وجد خارج الأسوار، ثم دمر كل ما يفيد خارج أسوار عكا خلال أربعة أيام[١٣٥].

ب- تكتيك إخفاء جهة الهجوم

حرص القادة المماليك على التمويه والمفاجأة، كما حدث في قيسارية التي هاجم قبلها الظاهر بيبرس عكا، ثم تحرك إلى موضع قريب من قيسارية اسمه عيون الأساور، وهناك أمر بلبس عدد القتال، وتقدم لحصار قيسارية على حين غفلة من أهلها[١٣٦]، وكذا أرسوف (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) حاصرها على حين فجأة من أهلها، بل إن كثيرًا من جنوده لم يكونوا يعلمون خط سير الجيش بعد فتح قيسارية - إمعانًا في الإخفاء - حتى وقفوا على سور المدينة، وصدر الأمر بالحصار[١٣٧]. وفي عام (٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦ م) قرر السلطان فَتْح صفد بسبب خطورتها، فأرسل عددًا من الفرق

حرق أبواب الحصون، عن مخطوط «المخزون جامع الفنون»، ورقة ٢٤.

منجنيق لرمي القدور الحارقة.

العسكرية لمهاجمة مجموعة متفرقة من المعاقل الصليبية، حتى شملت الغارة ضواحي عكا وصور وغرقد وطرابلس وحصن الأكراد[١٣٨]، وأصدر أمرًا لفرقة بقيادة الأمير علاء الدين أيديكن الشهابي من أمراء الشام، بالتوجه إلى بلاد الفرنج دون تحديد الوجهة الدقيقة، وأرسل خلفه كتابًا أمر ألا يفتحه إلا بعد قطع مسافة من الطريق، مضمونه التوجه لحصار صفد[١٣٩]، وتوجه السلطان بنفسه وهاجم عكا بشكل مباشر حتى ضمن حيادها، ثم توجه لحصار الهدف[١٤٠]. وحين قرر الظاهر بيبرس فتح أنطاكية (٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨ م) توجه أولًا لضواحي طرابلس، وقام بحملة نهب واسعة جعلت كل أمل أهل طرابلس أن يرحل السلطان عنهم، وهو ما ضمن خروجها من معادلة الدفاع عن أنطاكية[١٤١]. ومن أمثلة استخدام هذا التكتيك أيضًا إخفاء المنصور قلاوون نيته للتوجه للاستيلاء على حصن المرقب (٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩ م)، وسار معه الجند دون أن يعلموا الوجهة، وكثرت الأقاويل حول الحصن المقصود حتى وقف فجأة أمام أسوار حصن المرقب[١٤٢].

ج- تكتيك التهديد

كان من التكتيكات التي طبقها المنصور قلاوون؛ حيث استغل انتصاراته المتوالية في المطالبة بتسليم حصون صغيرة مؤثرة، في مقابل عدم مهاجمة المدن الكبرى.

مثال ذلك حصن مرقية الذي كان بين أنطرطوس[١٤٣] والمرقب في البحر المتوسط، شديد التحصين، والوصول إليه صعب، وحصاره أصعب بسبب متانة البناء، ناهيك عن عدم امتلاك المماليك لأسطول قوي يمكّنه الحصار لمدة قد تطول. ومن هنا كتب لحاكم طرابلس مهددًا: إن لم يسلم الحصن للسلطان فإنه سوف يوجه الجيش المملوكي المنتصر لحصار طرابلس نفسها، فتقرر هدم حصن مرقية بالتعاون بين الفرنج والمماليك حتى سوي الحصن بالأرض[١٤٤].

وبعد فتح الأشرف خليل بن قلاوون لقلعة الروم شعر ملك أرمينيا الصغرى هيثوم الثاني (٦٨٨ - ٦٩٢ هـ/ ١٢٨٩ - ١٢٩٣ م) بخطورة الموقف، واحتمال غزو سائر بلاده؛ فكتب إلى السلطان الأشرف يطلب منه العفو بسبب فقدان دعم المغول والباباوية، فاشترط السلطان تسليم ثلاث من القلاع الاستراتيجية، وهي: البهنسا[١٤٥]، ومرعش[١٤٦]، وتل حمدون، فوافق ملك الأرمن، وسلمت القلاع الثلاث للمماليك، وتم الصلح[١٤٧].

د- تكتيك الضربات المتلاحقة

ويقصد به متابعة الحصار الناجح بحصار آخر أكثر نجاحًا قبل أن يستفيق العدو. وقد طبق الظاهر بيبرس هذا التكتيك مرارًا، ومن أهم النماذج على هذا التطبيق: عام (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) حين فتح الظاهر بيبرس قيسارية، وتوجه بعدها مباشرة لضرب عثليث، ووجه الأمير سنقر الألفي[١٤٨] لفتح حيفا، ثم توجه السلطان إلى أرسوف ففتحها بالتتابع[١٤٩]. كذلك قيام الظاهر بيبرس عام (٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦ م) بتوجيه ضربات متلاحقة في مناطق مختلفة من البلاد المحتلة من قبل الفرنجة، مثل ضواحي عكا وصور وعرقة وحلبا وطرابلس وحصن الأكراد؛ وذلك لضمان تحييد كل هذه المناطق حال حصار صفد، وهو ما آتى ثماره، وبالتالي لم يتحرك أحد لنجدة صفد عندما فرض الحصار عليها[١٥٠].

وكذلك طبق نفس التكتيك في فتح أنطاكية، فما إن نجح حصار يافا في جنوب فلسطين عام (٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨ م)، وتبعها بفتح حصن الشقيف؛ حتى أسرع بتوجيه ضربة قاسية للصليبيين بحصار أنطاكية، سبقها قطع كل وسائل الاتصال بين أنطاكية وباقي القوى الصليبية من خلال الهجوم المكثف على ضواحي طرابلس، ثم اقتحام ميناء السويدية لضمان عزلها عن البحر، كما أرسل قوة قطعت الطريق بين قليقيا والشام لضمان تحييد الأرمن الحلفاء التقليديين لحكام أنطاكية الصليبيين، أما القوة الرئيسية، فقد توجهت لأنطاكية وحاصرتها وشددت عليها حتى سقطت بسهولة في رمضان (٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨ م)[١٥١].

كما طبق المنصور قلاوون نفس التكتيك، فبمجرد فتح طرابلس أسرع في الاستيلاء على عدد من المعاقل الصليبية، ومنها نيفين جنوب طرابلس التابعة للفرسان الإسبتارية، ثم قلعة البترون[١٥٢].

٥) النتائج

وبعد هذه الدراسة التفصيلية لنظرية الحصار المملوكية، وتطبيقها العملي على الأرض خلال عمليات الحصار التي قام

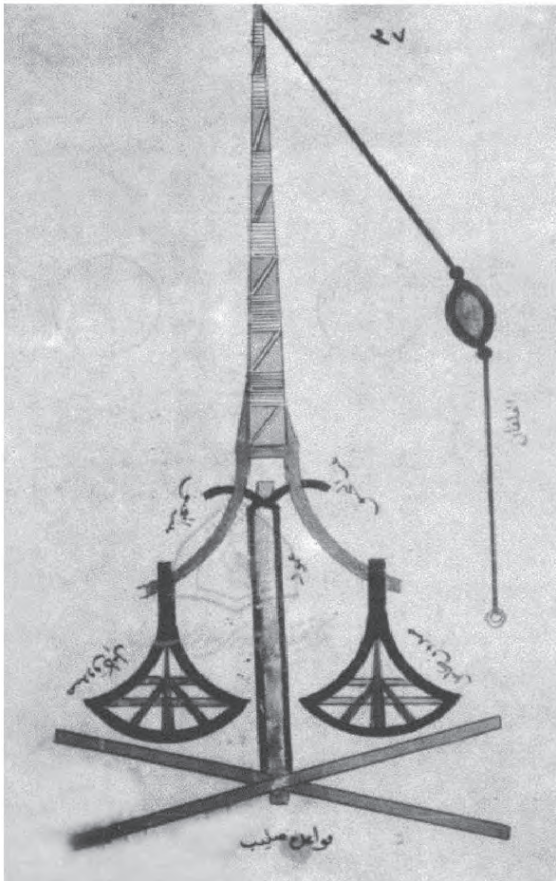

عن «الأنيق في المجانيق»، ص ٩٧.

بها جيش سلطنة المماليك في عصرها الأول، بدءًا من حصار قيسارية (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) وحتى فتح سيس عاصمة الأرمن (٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م) نخلص إلى:

- إن تكتيكات - حيل - «المكابرة والمثابرة» أو الوسائل الخشنة العنيفة قد غلبت على أسلوب سلاطين المماليك في الحصار خلال العصر المملوكي الأول، ولم يلجئوا إلى الوسائل الناعمة المعروفة بالاستراق إلا قليلًا، وسبب ذلك فتوة الدولة وتصاعد قوتها العسكرية، في المقابل تراجع قوة أعدائهم بشكل تدريجي حتى تلاشى الوجود الصليبي، وضعفت وتفتت دولة المغول، بالإضافة إلى تتابع انتصارات الظاهر بيبرس التي ثبتت دعائم الدولة المملوكية، ومهدت الطريق لمن جاء بعده من السلاطين.
- لم تتوقف تكتيكات حصار المكابرة والمثابرة على الناحية النظرية، بل طبق معظمها، وعلى رأسها القصف بالمجانيق، وحفر الأسراب، وردم الخنادق، والقذائف النارية.
- ارتبط اختيار تكتيكات الحصار بعدد من العوامل؛ منها: درجة حصانة الهدف المراد الاستيلاء عليه من الناحيتين

الطبيعية والبشرية، وقوة المدافعين عن الهدف وحسن تنظيمهم، وخبرة القوات المهاجمة وما توفر لها من قوة بشرية ومن أدوات لا بد منها للحصار.

- لاحظنا كثرة وتنوع التكتيكات حال حصار الحصون الصعبة، مثل صفد التي استخدم فيها تكتيكات القصف بالمجانيق، ونقب الأسوار، وردم الخنادق، وحرق الأبواب؛ وقلتها في الحصون الضعيفة التي سلم بعضها بمجرد التهديد، مثل حصن مرقية.
- وقعت جل عمليات الحصار في عصر الظاهر بيبرس، وعددها إحدى عشرة عملية، يليه عصر المنصور قلاوون ثم الأشرف خليل والناصر محمد، وذلك لاعتبارات عدة، في مقدمتها اتساع المعاقل الصليبية التي أجهز على معظمها الظاهر بيبرس، وبقاء عدد أقل في عصر المنصور قلاوون، وجاء فصل الخطاب في عصر الأشرف خليل، وبعدها كان الأرمن الهدف طوال عصر الناصر محمد وخلفائه، حتى أنهى الأمر الأشرف شعبان عام (٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م) بضم أراضي الأرمن، واعتبارها أرضًا مملوكية، وولى عليها واليًا من قِبله.
- اقتصر النطاق الجغرافي لعمليات الحصار في مناطق الساحل الشامي، وأرمينية. وليس ذلك بالمستغرب في ظل الارتباط الكبير بين البلاط الأرمني والأسر الصليبية في الساحل الشامي وخاصة البيت الأنطاكي. بجانب كثرة القلاع التي بناها الصليبيون في مختلف المناطق التي خضعت لاستعمارهم البغيض؛ حتى تساعد في التخفيف من وطأة النقص البشري الحاد الذي عانى منه الصليبيون طوال تاريخ وجودهم في ساحل بلاد الشام، بجانب كثرة قلاع بلاد الأرمن.
- تضمنت النظرية بعض الأمور التي لم ترد في المصادر التاريخية المؤرخة لعمليات الحصار في فترة الدراسة، ومن ضمنها التكتيكات الكتابية.
- بالرغم من شمول النظرية فإن هناك تكتيكات نفذت على الأرض ولم تتضمنها النظرية، منها تكتيك الأرض المحروقة، وتكتيك الضربات المتلاحقة، وتكتيك إخفاء وجهة الهجوم.

الهوامش

* محاضر كلية التعليم المستمر - الجامعة الأمريكية بالقاهرة، عضو مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

(١) إحياء الخلافة العباسية: قضى هولاكو على الخلافة العباسية في بغداد عام (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م)، وقتل الخليفة المستعصم؛ آخر الخلفاء العباسيين في بغداد. وعقب نصر عين جالوت (٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م) قام الظاهر بيبرس بإحياء الخلافة العباسية في القاهرة عام (٦٥٩ هـ/ ١٢٦١ م) عقب توليه العرش ليحقق أهدافًا عدة، أهمها الحصول على الشرعية من خلال الحصول على تفويض الخليفة العباسي بحكم البلاد وقيادة العباد. لمزيد من التفاصيل حول ملابسات إحياء الخلافة في القاهرة انظر: عبد الله بن عبد الظاهر السعدي، (ت ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢ م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض، ١٩٧٦): ١٤١.

(٢) محمود نديم أحمد فهيم، **الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري: ٦٤٨ - ٧٨٣، ١٢٥٠ - ١٣٨٣** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣).

(٣) المرجع السابق: ١٣٧، ١٦٤.

(٤) «تعريف ومعنى تكتيك في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي»، **المعاني**،

www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AA%D9%83%D8%AA%D9%8A%D9%83/

(٥) مصر. مجمع اللغة العربية. الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، **المعجم الوسيط** (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠١١): ٢٠١٦؛ جلال الدين محمد الأمير القن بن محمود منكلي بوغا القاهري المصري الناصري (ت بعد ٧٧٨ هـ)، «مقدمة المحقق»، في **الأدلة الرسمية في التعابي الحربية**، تحقيق محمود شيت خطاب (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨): ٢٢.

(٦) المرجع السابق: ٢١٦.

(٧) صادق محمود الجميلي، محقق، «كتاب التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية: تأليف محمد بن محمود منكلي المصري المتوفى سنة ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦ م نقيب الجيوش في سلطنة الأشرف شعبان»، **مجلة المورد** ١٢، العدد ٤، **الفكر العسكري عند العرب** (أكتوبر ١٩٨٣): ٣١٩-٣٧٨.

(٨) نجم الدين حسن الرماح الأحدب (ت ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٦ م)، **الفروسية والمناصب الحربية**، القاهرة، معهد المخطوطات العربية. مجموعة الفنون الحربية والفروسية (رقم الحفظ: ٣٨).

(٩) بدر الدين محمد بن عيسى بن إسماعيل بن خسروشاه الأقصرائي الرومي الحنفي (ت ٧٧٣ هـ/ ١٣٧١ م)، **نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية**، نسخ أحمد بن عمر بن أحمد المصري، ٧٧٣ هـ، مكتبة قطر الوطنية (رقم الحفظ: MS 18866)، مخطوطة مرقمنة متاحة عبر الإنترنت، مكتبة قطر الرقمية (قاعدة بيانات).

(١٠) سراج الدين أبو حفص عمر بن إبراهيم بن عمر الأوسي الأنصاري (ت ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م)، **تفريج الكروب في تدبير الحروب**، ترجمة وتحقيق جورج سكانلون (القاهرة: الجامعة الأمريكية، ١٩٦١).

(١١) جلال الدين محمد الأمير القن بن محمود منكلي بوغا القاهري المصري الناصري (ت بعد ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦ م)، **الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب**، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز (القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠): ٣٧٨.

(١٢) أبو محمد الحسن بن عبد الله بن عمر بن محاسن العباسي (ت ٧١٠ هـ/ ١٣١٠ م)، **آثار الأول في ترتيب الدول**، تحقيق عبد الرحمن عميرة (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩): ٢٦٢.

(١٣) المرجع السابق: ٢٦٤.

(١٤) السرب: هو حفير تحت الأرض. انظر: ابن منظور (عبد الله محمد بن المكرم الأنصاري ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م). **لسان العرب** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م): ١٩٨٢.

(١٥) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٣٧٩.

(١٦) الحسن العباسي، **آثار الأول**: ٣٦٤.

(١٧) ابن أرنبغا الزردكاش (ت ٨٦٧ هـ/ ١٤٦٢ م)، «مقدمة المحقق»، في **الأنيق في المناجيق**، تحقيق إحسان هندي، مصادر ودراسات في تاريخ التكنولوجيا العربية ٤ (حلب: جامعة حلب. معهد التراث العلمي العربي؛ القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥): ١٦.

(١٨) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٣٧٩.

(١٩) الحسن العباسي، **آثار الأول**: ٣٦٥.

(٢٠) ابن أرنبغا الزردكاش، «مقدمة المحقق»، في **الأنيق**: ٢٦-٣٠.

(٢١) فهيم، **الفن الحربي**: ٤٠-٤١.

(٢٢) ابن أرنبغا الزردكاش، **الأنيق**: ٩٤-١٠٦.

(٢٣) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض، ١٩٧٦): ٢٥٧.

(٢٤) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، تقع على خليج بين حيفا ويافا. عنها انظر: ياقوت الحموي. **معجم البلدان**. ج. ٤: ٤٢١؛ مولر. **القلاع الصليبية**: ٩٧.

(٢٥) عكا: بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وألف في الآخر، وتكتب عكا وعكة، تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، إلى الجنوب من صور، شمال غرب طبرية، وتمتد في خليج يافا على شكل شبه جزيرة، يحدها البحر من الجنوب والغرب، وكانت المدينة مشيدة فوق مرتفع من الأرض خشية أن تغرقها مياه السيول، وكانت تطل من جهة البر على سهل فسيح غني بمنتجاته الزراعية، يحميه عدد من التلال المرتفعة من الشمال والشرق والجنوب، وميناؤها يشبه الإسطبل، ولها حائطان داخلان في البحر، ولها مدخل مفتوح طوله خمسون ذراعًا، ومدخل الميناء محمي بسلسلة تغلق وتفتح، وكانت المدينة محاطة بسور ضخم من جهتي الشرق والشمال، وكان من السهل السير فوقه نظرًا لاتساعه الذي كان يتسع لعربتين متجاورتين، وكان له عدة أبواب، كل منها محاط ببرجين. لمزيد من التفاصيل عن موقع عكا وتحصيناتها. انظر: ناصر خسرو علوي (المتوفى ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م). **سفر نامه**. ترجمة يحيى الخشاب. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣): ٦١؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي المتوفى ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م). **صبح الأعشى**. ج. ٤. (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤): ١٥٢.

(٢٦) ابن عبد الظاهر. **الروض الزاهر**: ٢٣٠-٢٣١؛ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الحنفي (ابن الفُرات المصري، ت ٨٠٧ هـ)، **تاريخ ابن الفرات، وهو تاريخ الدول والملوك**، مج. ٦، ج. ١، تحقيق ميخائيل خوري (بيروت: الجامعة الأمريكية، ١٩٦١): ١٣١؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مج. ١، ج. ٢ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٦): ٥٢٧؛

Christopher Marshall, *Warfare in the Latin East, 1192-1291*, Cambridge Studies in Medieval Life and Thought 4 (Cambridge: Cambridge University Press, 1994): 231.

(٢٧) أرسوف: مدينة شامية على ساحل البحر المتوسط تقع بين قيسارية ويافا، تبعد عن يافا عشرة أميال إلى الشمال، وتبعد عن قيسارية ثمانية عشر ميلًا. انظر: ياقوت الحموي. **معجم البلدان**. ج. ١: ١٥١؛ محمد مؤنس عوض. **في الصراع الإسلامي الصليبي معركة أرسوف**. (القاهرة: عين للبحوث والدراسات، ١٩٩٧): ٧.

(٢٨) عز الدين أيبك الأفرم: هو الأمير عز الدين أيبك الأفرم الكبير الصالحي، كان من مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذي قربه وجعله ساقي السلطان، ومع قيام دولة سلاطين المماليك ارتفع نجمه وصار من أكبر أمراء السلطنة وأكثرهم مالًا، تولى منصب أمير جاندار السلطان بيبرس والملك السعيد والمنصور قلاوون. توفي عام ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٦ م. عنه انظر: الصفدي. **الوافي بالوفيات**. ج. ٩: ٤٧٨؛ ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**. ج. ٨: ٨٠.

(٢٩) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣٨؛ ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ١٣٨؛

Paul F. Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre': Part III of the 'Deeds of the Cypritos'*, Crusade Texts in Translation 6 (Aldershot, UK: Ashgate, 2003): 100; David Nicolle, *Acre 1291: Bloody Sunset of the Crusader States*, illustrated by Graham Turner, Campaign 154 (Oxford: Osprey, 2005): 44.

(٣٠) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٣٧٩-٢٨٠؛ ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الناصري الخطائي الدوادار المصري (ت ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥ م)، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق دونالد س. ريتشاردز (بيروت: الشركة المتحدة، ١٩٩٨): ١٢٨؛ فولفغانغ مولر-فينز، **القلاع أيام الحروب الصليبية**، ترجمة محمد وليد جلاد، مراجعة سعيد طيان (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤): ٦٠.

حصن عكار: حصن صغير شمال لبنان إلى الشمال من طرابلس بنحو ٢٥ ميلًا، كان جزءًا من الدفاعات الشمالية المارة بطرابلس الصليبية. انظر: مولر. **القلاع الصليبية**: ٦٠.

(٣١) ابن أرنبغا الزردكاش، **الأنيق**: ١٠٤.

(٣٢) حصن المرقب: تقع قلعة المرقب على الساحل السوري بين مدينتي طرطوس وبانياس الساحليتين، على قمة جبل بركاني صخري يشرف على شاطئ البحر، شيدت على ارتفاع ٣٦٢ م عن سطح البحر، ونظرًا لوعورة المكان فقد كانت القلعة من أمنع حصون الصليبيين وأشدها خطورة. عنها انظر: مولر، **القلاع الصليبية**، ٧١-٧٤.

(٣٣) محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي المصري (ت ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٣ م)، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق مراد كامل، مراجعة محمد علي النجار (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. الإدارة العامة للثقافة، ١٩٦١): ٧٨؛ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م)، **المختصر في أخبار البشر**، مج. ٤ (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٥ هـ): ٤١؛ مولر-فينز، **القلاع أيام الحروب**: ٧٢؛

Marshall, *Warfare in the Latin East*: 232.

(٣٤) طرابلس: مدينة ومرفأ على القسم الشمالي من الساحل اللبناني، ظلت الميناء الرئيسي لمدينة دمشق لعدة قرون، وهي كثيرة الخيرات والثمار، ويزرع بها قصب السكر، كما كانت مركزًا لإمارة طرابلس الصليبية. أبو الفدا. **تقويم البلدان**: ٤٥٣؛ مولر. **القلاع الصليبية**: ٤٧.

(٣٥) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٦٦؛ ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الناصري الخطائي الدوادار المصري (ت ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥ م)، **كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية: تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ - ٧١١ هجرية**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧): ١٢٠؛ أبو الفداء، **المختصر**، مج. ٤: ٤٣؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٣: ٧٤٧؛

Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 46.

(٣٦) أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (ت ٧١٣ هـ/ ١٣١٣ م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، مج. ٨، **الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية**، تحقيق أولرخ هرمان (القاهرة: المعهد الألماني للآثار. قسم الدراسات الإسلامية، ١٩٧١): ٢٨٣؛

Edwin James King, *The Knights Hospitallers in the Holy Land* (London: Methuen, 1931): 288; Marshall, *Warfare in the Latin East*: 232.

(٣٧) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٨٠؛ بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين بن يوسف بن محمود العينتابي الحنفي (البدر العيني، ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: عصر سلاطين المماليك**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ٣، **حوادث وتراجم ٦٨٩ - ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٠ - ١٢٩٨ م** (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠): ٥٨؛ مولر-فينز، **القلاع أيام الحروب**: ٩٥؛ Marshall, *Warfare in the Latin East*: 233.

وفي حصار عكا (٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م) قال الشاعر أبو تميم مدحًا لفعل المنجنيق:

للمنجنيق على الحصون وقائع — فيها عجائب للذي يتفهم
يومي إليها بالركوع مخادعًا — فتخر ساجدة إليه وتسلم

انظر: البدر العيني، **عقد الجمان**، مج. ٣: ٦٠-٦١.

(٣٨) الداوية: هيئة الفرسان الداوية: هي هيئة دينية حربية، تأسست في عام (٥١٢ هـ/ ١١١٨ م)، على يد فارس يسمي هيو باين Hugh de Payns، واعترف بهم الملك بلدوين الثاني في نفس العام، ومنحهم جناحًا من القصر الملكي بالقدس بالقرب من المسجد الأقصى ليكون مقرًا لهم، وحصلوا على اعتراف من البابا هونوريوس الثاني عام (٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م)، ثم اعتراف آخر بهم كهيئة نظامية عام (٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م) على يد البابا يوجين الثالث، وكان زيهم أردية بيضاء عليها صليب أحمر، ونتيجة أهدافها المعلنة من حماية الحجاج والزود عن الصليبيين، فقد تدفقت عليهم المنح والهبات حتى صارت هذه الهيئة من أكبر وأغنى الهيئات الدينية العسكرية،

وشيئًا فشيئًا صارت مستقلة تمامًا عن مملكة بيت المقدس، وامتلكوا العديد من القلاع في شتى أنحاء بلاد الشام، وفي ظل ضخامة الثروات التي جمعوها شاركوا مشاركة كبيرة في العمليات المالية في المملكة، واشتهروا بالجشع والأنانية في ظل القروض ذات الفوائد العالية التي كانوا يقرضونها لمن يطلبها، وكانوا أشد الصليبيين ضراوة في قتال المسمين، ومن ثم كان موقعهم في تنظيم الجيش الصليبي دائمًا في المقدمة. عنهم انظر:
وليم الصوري، **تاريخ الحروب الصليبية**. ج. ٢، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢): ٣٤٥-٣٤٦؛ **إبراهيم خميس. جماعة الفرسان الداوية**، (الإسكندرية، ٢٠٠٢)؛ **محمد فوزي رحيل، الرباط المقدس، مدخل لتاريخ الهيئات العسكرية الصليبية في القرنين ١٢، ١٣م**، (إسطنبول: مركز التاريخ العربي للنشر، ٢٠٢٠): ٣٩-٦٠.

(٣٩) هيئة الفرسان الإسبتارية: هي أقدم الهيئات الدينية العسكرية التي تأسست في الساحل الشامي إبان الاغتصاب الصليبي، ويرى وليم الصوري أن تاريخ هذه الهيئة يعود إلى فترة طويلة تسبق الوجود الصليبي، في صورة مستشفى أسسه عدد من تجار أمالفي في القدس لعلاج الحجاج المسيحيين. ومع الاحتلال الصليبي للقدس تطورت تلك الهيئة بصورة تدريجية، بفضل الخدمات الصحية التي قدمها أعضاء الهيئة للمشاركين في الحملة الصليبية الأولى، ومن ثم حين عادوا إلى أوطانهم أغدقوا المنح والهبات على الهيئة التي صار لها العديد من الفروع في جل البلدان الأوروبية، غير أنها لم تظهر في صورة الهيئة العسكرية قبل (٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م)، وبحلول عام (٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م) صار الدور العسكري للجماعة ملحوظًا للجميع، ومن ثم تدخل البابا ألكسندر الرابع Alexander IV وحدد لهم زيًّا خاصًّا بهم لا يرتديه غيرهم، وهو عباءة سوداء ومعطف عليه صليب مثمن الأطراف. وقد توالت الهبات على هذه الهيئة حتى صارت تتحكم في عدة قلاع، وتحوز عدة إقطاعات في شتى أنحاء المستعمرات الصليبية. وفي ظل تراكم الثروات تغلَّب الدافع الاقتصادي على الدافع الديني لدى فرسان الهيئة. وفي القرن الثالث عشر في ظل ضعف المملكة استطاع الإسبتارية الاستيلاء على مزيد من الإقطاعات، بل والمدن الكاملة التي تنازل عنها أصحابها في ظل عجزهم عن الدفاع عنها أمام قوة المسلمين المتنامية، خاصة بعد قيام دولة المماليك. عنهم انظر: رايلي سميث، **الإسبتارية فرسان القديس يوحنا**، ترجمة صبحي الجابي، (دمشق، ١٩٨٤)؛ مصطفى الحناوي. **الفرسان الإسبتارية، ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي**، (الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٥)؛ محمد فوزي رحيل، **الرباط المقدس**: ١٢-٣٨.

(٤٠) Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 106.

(٤١) Edwin James King, "Letter of John de Villierrs master of the Hospital Describing the Fall of Acre", in *The Knights Hospitallers in the Holy Land* (London: Methuen, 1931): 301.

(٤٢) الكتبي (صلاح الدين محمد بن شاكر، ت ٧٦٤ هـ)، **عيون التواريخ: عصر سلاطين المماليك**، تحقيق أحمد عبد الستار وآخرين، مراجعة أيمن فؤاد سيد، مج. ٣ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٧): ٩٢؛

King, *The Knights Hospitallers*: 294.

(٤٣) شهاب الدين محمود: هو القاضي شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي الكاتب صاحب ديوان الإنشاء ولد بحلب سنة (٦٤٤ هـ/ ١٢٤٦ م)، والده قاضٍ، ومن ثم نال قسطًا وافرًا من التعليم، وبرع في الخط حتى اشتهر به، وحصل على وظيفة في ديوان الإنشاء في دمشق، ثم نقل إلى مصر ليتولى رئاسة ديوان الإنشاء عام ٦٩٢ هـ، كما تولى قضاء المالكية بالقاهرة، ثم عاد إلى دمشق عام (٧١٧ هـ/ ١٣١٧ م)، وبقي بها حتى توفي عام (٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥ م) وقد جاوز الثمانين عامًا. من مؤلفاته: حسن الترسل إلى صناعة الترسل، منازل الأحباب ومنارة الألباب. عنه انظر: الصفدي. **الوافي بالوفيات**. مج ٢٥: ٣٠١-٣٦١.

(٤٤) الكتبي، **عيون التواريخ**، مج. ٣: ٩٤، ٩٨.

(٤٥) قلعة الروم: قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سيمساط. بها مقر بطرك الأرمن، عقب فتح الأشرف خليل لها عام (٦٩١ هـ/ ١٢٩١ م) عرفت بقلعة المسلمين. انظر: ياقوت الحموي. **معجم البلدان**. مج. ٤: ٣٩٠.

(٤٦) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٨٨؛ بيبرس المنصوري، **كتاب التحفة الملوكية**: ١٣٠-١٣١؛ الصفي مفضل بن أبي الفضائل الأمجد بن أسعد بن أبي الفضل بن إبراهيم بن يوحنا أبي بشر القبطي (ابن العسال، ت بعد ٨٥٩ هـ)، **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، تحقيق محمد كمال عز الدين (دمشق: دار سعد الدين، ٢٠١٦): ٣٠٤-٣٠٥؛ ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق محمد كمال عز الدين، مج. ٣، **ممالك الشرق الإسلامي والترك ومصر والشام والحجاز** (الرياض: دار روائع الأثير، ٢٠٠٨): ٣٩٨؛ إسكندر، **السلطان الملوكي الأشرف خليل بن قلاوون وفتح قلعة المسلمين (١٦ يونية سنة ١٢٩٢ م / ١١ رجب سنة ٦٩١ هـ)** (الإسكندرية، ١٩٩٩): ٣٣.

(٤٧) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، مج. ٣: ٤٠١.

(٤٨) قلعة تل حمدون: كانت قلعة حصينة لها سور جيد، بنيت على تل عالٍ، تحيط بها البساتين، ولها نهر، وأرزاقها كثيرة، بالقرب من عين زربة، يليها سيس عاصمة مملكة أرمينيا الصغرى. أبو الفدا. **تقويم البلدان**. (بيروت: دار صادر، بدون تاريخ): ٥١.

(٤٩) المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٣: ٨٣٩.

(٥٠) أشقتمر المارديني: ولي نيابة حلب في سنة (٧٦٥ هـ/ ١٣٦٣ م) لمدة سنة ونصف، ثم عاد إليها عام (٧٧١ هـ/ ١٣٦٩ م)، ثم ولي نيابة طرابلس، وعاد إلى حلب مرتين، ثم ولي دمشق، ثم عزل بلا عمل حتى مات عام (٧٩١ هـ/ ١٣٨٩ م)، من أهم إنجازاته فتح سيس عام (٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م). ابن حجر العسقلاني. **الدرر الكامنة**. مج. ١: ٣٨٩؛ المقريزي. **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، مج. ١. **تحقيق محمود الجليل** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢): ٣٢٧.

(٥١) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني المصري الشافعي (ت ٨٥٢ هـ)، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تحقيق وتعليق حسن حبشي، مج. ١ (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٩): ٧٤-٧٥؛ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني المصري الشافعي (ت ٨٥٢)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق سالم الكرنوكي، مج. ١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣): ٣٩١؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مج. ٣، ج. ١ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٧): ٢٣٧.

(٥٢) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٤٠٥-٤٠٦.

(٥٣) المرجع السابق: ٤٠٧.

(٥٤) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ١٥٨؛ ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ٤١؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٤٨٩.

(٥٥) ابن عبد الظاهر. **الروض الزاهر**: ٢٣٠-٢٣١؛

Marshall, *Warfare in the Latin East*: 231.

(٥٦) قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أبي الحسين أحمد اليونيني البعلبكي (ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦ م)، **ذيل مرآة الزمان**، مج. ٢، **من وقائع سنة ٦٥٨ هـ إلى سنة ٦٧٠ هـ** (حيدر آباد، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٥): ٣١٨-٣١٩؛ ابن الفُرات المصري، **تاريخ الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ١٣٦-١٤٠؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٩؛

Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 44.

(٥٧) صفد: مدينة في جبال عامل المطل على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان. ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي المتوفى ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م): **معجم البلدان**. مج. ٣. (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧): ٤٢.

(٥٨) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٥٧، ٢٥٩؛ بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ١٠٤؛ أبو الفتح اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، مج. ٢: ٣٣٨؛ ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ١٩٧.

(٥٩) أبو الفتح اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، مج. ٢: ٣٣٨.

(٦٠) حصن القرين: يقع شمال فلسطين، قرب صفد، على بعد عشرين ميلًا شمال حيفا، فوق جرف شديد الانحدار في الشعاب الخارجية للسلسلة الجبلية الممتدة شمال غرب بحيرة طبرية، بين الحصن وبين الجبل المتاخم توجد قناة مائية، ويحمي الحصن من الخارج برج محصن ربما كان شبه دائري. وكانت من أمنع الحصون الصليبية، وتشرف على شمال الجليل وعلى طريق دمشق عكا، انظر: مولر وفيز، **القلاع**: ٩٨.

(٦١) هيئة الفرسان التيوتون: تأسست عام (٥٣٣ هـ/ ١١٢٨ م) على يد أحد الحجاج الألمان، وكانت تحت إشراف الإسبتارية حتى استقلت عنهم عام (٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م)، وعقب فتح صلاح الدين للقدس انتقل مقرها إلى عكا، غير أن الهيئة لم يرتفع شأنها إلا بعد عام (٦١٩ هـ/ ١٢٢٢ م) حين تولى الإمبراطور فردريك الثاني رعاية هذه الهيئة؛ حيث اتسع نفوذها واستولت على عدد من الحصون المهمة وعلى رأسها حصن القرين، ونظرًا لتدهور أحوال الصليبيين في بلاد الشام فقد اتجه التيوتون إلى مد نشاطهم إلى منطقة بحر البلطيق لنشر المسيحية، ومع تنامي حركة الاسترداد الإسلامي للممتلكات الصليبية فإنهم فقدوا أملاكهم بصورة متتابعة، ومن ثم صارت سواحل البلطيق مستقرهم بعد فتح المسلمين عكا عام (٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م). انظر عنهم: حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة** (الإسكندرية، ١٩٨٩)؛ محمد فوزي رحيل، **الرباط المقدس**: ٦٣-٨١.

(٦٢) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٣٨٦.

(٦٣) بيبرس المنصوري. **زبدة الفكرة**: ١٢٨.

(٦٤) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**: ٧٨-٧٩.

(٦٥) مولر-فينز، **القلاع أيام الحروب**: ٧٢.

(٦٦) King, *The Knights Hospitallers*: 285; Marshall, Warfare in the Latin East: 232.

(٦٧) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**: ١٥٢.

(٦٨) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٦٦؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٣: ٧٤٧.

King, *The Knights Hospitallers*: 288; Marshall, *Warfare in the Latin East*: 233; Nicolle, *Acre 1291*: 46.

(٦٩) الدواداري، **كنز الدرر**، مج. ٨: ٢٨٣؛ King, *The Knights Hospitallers*: 288.

(٧٠) Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 100; King, The *Knights Hospitallers*: 288; Nicolle, Acre 1291: 46.

(٧١) مولر- فينز، **القلاع أيام الحروب**: ٩٥.

(٧٢) سنقر الشجاعي: كان من مماليك المنصور قلاوون، ترقى في الوظائف حتى تولى منصب شادّ الدواوين، ثم ولي الوزارة ونقل منها لدمشق ثم عاد إلى القاهرة، ومن المهام التي تولاها وأنجزها في مدة قصيرة الإشراف على بناء البيمارستان المنصوري. كان له الحل والعقد في إدارة الدولة خلال حكم الناصر محمد في ولايته الأولى حيث كان وزيرًا للسلطان. مات مقتولًا بأمر من أم الناصر محمد بن قلاوون بسبب تطلعه للسلطنة عام (٦٩٣ هـ/ ١٢٩٤ م). عنه انظر: ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**. مج. ٨: ٥٣-٥٤.

(٧٣) Crawford, ed., The 'Templar of Tyre': 106; Marshall, *Warfare in the Latin East*: 233.

(٧٤) Crawford, ed., The 'Templar of Tyre': 106; Marshall, *Warfare in the Latin East*: 233.

(٧٥) الكتبي، **عيون التواريخ**، مج. ٣: ٩٨.

(٧٦) إسكندر، **السلطان المملوكي**: ٢٧-٢٨.

(٧٧) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، مج. ٣: ٤٠١-٤٠٢.

(٧٨) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٤٠٧-٤٠٩.

(٧٩) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣٦-٢٣٨؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٨.

وقدم ابن عبد الظاهر صورة حية للقتال خلف السرب فقال: «واتفق أن السلطان حضر إلى السرب، وقعد في رابية خلف طاقة يرمي فيها، فخرجت جماعة من الفرنج الفرسان، ومعهم الرماح بخطاطيف، فلم يشعر إلا وهم على باب السرب، فقام وقاتلهم – السلطان – يدًا بيد،... وصار الأمير شمس الدين سنقر الرومي يناوله الحجارة فقتل بها فارسين»، ابن عبد الظاهر. **الروض الزاهر**: ٢٣٧-٢٣٨.

وذكر داوي صور المجهول أن الألغام كان لها الدور الكبير في سقوط المدينة، انظر:

Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 44.

(٨٠) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**: ٧٩؛ مولر- فينز، **القلاع أيام الحروب**: ٧٢؛

King, *The Knights Hospitallers*: 285.

(٨١) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٦٦؛

Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 100.

(٨٢) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٤٠٩؛ الحسن العباسي، **آثار الأول**: ٢٦٦.

(٨٣) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٤١٠–٤١١.

(٨٤) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣٠.

(٨٥) المرجع السابق: ٢٣٧؛

Marshall, *Warfare in the Latin East*: 234.

(٨٦) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٧٩–٢٨٠؛ ابن العسال، **النهج السديد**: ٢٩٨؛ Nicolle, *Acre* 1291:69.

(٨٧) Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 106.

(٨٨) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٢٠٢؛ الأقصرائي، **نهاية السؤل والأمنية**: ورقة ٤٨٤–٤٨٥.

(٨٩) الأقصرائي، **نهاية السؤل والأمنية**: ورقة ٤٩٠.

(٩٠) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٢٠٦؛ الأقصرائي، **نهاية السؤل والأمنية**: ورقة ٤٨٥.

(٩١) المرجع السابق.

(٩٢) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٢٠٦؛ الأقصرائي، **نهاية السؤل والأمنية**: ورقة ٤٨٥.

(٩٣) الرماح، **الفروسية والمناصب الحربية**: ورقة ٩١.

(٩٤) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣٠؛ البدر العيني، **عقد الجمان**، مج. ١، **حوادث وتراجم ٦٤٨ – ٦٦٤ هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٦٥ م**: ٣٩٦؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٦.

(٩٥) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣١؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٧.

(٩٦) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣٤.

(٩٧) المرجع السابق: ٢٤٢؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٩.

(٩٨) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٥٧؛ ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ١٩٥؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٤٦.

(٩٩) Marshall, *Warfare in the Latin East*: 234.

(١٠٠) البدر العيني، **عقد الجمان**، مج. ٣: ٦٤.

(١٠١) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٢٠٥–٢٠٦؛ الأقصرائي، **نهاية السؤل والأمنية**: ورقة ٤٨٥.

(١٠٢) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٥٨؛ ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ١٩٦.

(١٠٣) Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 110.

(١٠٤) المرجع السابق: ١١١.

(١٠٥) الحسن العباسي، **آثار الأول**: ٢٦٢–٢٦٤.

(١٠٦) ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ١٩٨؛

Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 50; Marshall, *Warfare in the Latin East*: 235.

(١٠٧) قلعة الشقيف: قلعة جنوب لبنان تقع فوق جرف جبلي شديد الانحدار ارتفاعه ٢٢٠٠ قدم مقابل نهر الليطاني، بين دمشق وبانياس، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج. ٣: ٣٥٦؛ مولر. **القلاع الصليبية**: ٨.

(١٠٨) أبو الفتح اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، مج. ٢: ٣٧٧؛ ابن العسال، **النهج السديد**: ١٦؛

Marshall, *Warfare in the Latin East*: 235.

(١٠٩) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٣٧٦؛

Marshall, *Warfare in the Latin East*: 235.

(١١٠) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**: ٤٠٩.

(١١١) المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٩.

(١١٢) ابن العسال، **النهج السديد**: ١٥٩.

(١١٣) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٩٨.

(١١٤) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**: ٧٩؛ بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٥٣؛ أبو الفداء، **المختصر**، مج. ٤: ٢١.

(١١٥) King, *The Knights Hospitallers*: 285.

(١١٦) الأقصرائي، **نهاية السؤل والأمنية**: ورقة ٥٢٤.

(١١٧) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ١٥٨–١٥٩؛ بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٨١؛ ابن الفرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ٤٠.

(١١٨) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣١؛ ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ١٣٢.

(١١٩) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٥٧.

(١٢٠) المرجع السابق: ٢٥٨.

(١٢١) كند اصطبل أو الكونستابل Constable هو قائد الجيش. انظر: يوشع براور. **الاستيطان الصليبي في فلسطين**. ترجمة عبد الحافظ البنا. (القاهرة: عين للبحوث والدراسات، ٢٠٠١): ١٥٢.

(١٢٢) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ١١١؛ البدر العيني، **عقد الجمان**، مج. ٢، **حوادث وتراجم ٦٦٥ – ٦٨٨ هـ/ ١٢٦٦ – ١٢٨٩ م**: ٢٢.

(١٢٣) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٨٩.

(١٢٤) ابن أرنبغا الزردكاش، **الأنيق**: ١١٦–١٢١.

(١٢٥) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣٠.

(١٢٦) المرجع السابق: ٢٥٩.

(١٢٧) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٨٨؛ إسكندر، **السلطان المملوكي**: ٣١.

(١٢٨) «سورة الحشر»، في **القرآن الكريم**: الآية ٢.

(١٢٩) الجميلي، محقق، «كتاب التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية»: ٣٢٨.

(١٣٠) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣٨؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٨.
ولا نعلم شيئًا عن الشيخ علي المجنون والشيخ إلياس أكثر مما ورد لدي عن ابن عبد الظاهر في هذا الحصار.

(١٣١) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٥٨؛ ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ١٩٧.

(١٣٢) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٩٦.

(١٣٣) المرجع السابق: ١٥٨–١٥٩؛ ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ٤٠–٤٣؛

King, *The Knights Hospitallers*: 259.

(١٣٤) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٥٣؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٤٥.

(١٣٥) المرجع السابق: ٥٥٩؛ Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 53.

(١٣٦) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٣٠؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٦.

(١٣٧) انظر: المرجعين السابقين: ٢٣٥، ٥٢٨.

«وفي تاسع وعشرين جمادى الأولى رحل السلطان من قيسارية ولم يعلم أحد إلى أين توجه، وسار إلى أرسوف، فنزل بها في مستهل جمادى الآخرة».

(١٣٨) أبو الفتح اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، مج. ٢: ٣٣٧.

(١٣٩) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٥٤.

(١٤٠) Crawford, ed., *The 'Templar of Tyre'*: 50.

(١٤١) بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**: ١١١؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٦٧.

(١٤٢) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**: ٧٧–٧٨.

(١٤٣) أنطرطوس أو طرطوس: ميناء بحري على الساحل الشامي، من أعمال طرابلس شرقي عرقة بينهما ثمانية فراسخ. انظر: ياقوت الحموي. **معجم البلدان**. مج. ١: ٢٧٠.

(١٤٤) المرجع السابق: ٧٨–٧٩.

(١٤٥) البهنسا: تقع شمال حلب، على نحو أربع مراحل منها، وهي قلعة حصينة مرتفعة، تتمتع ببساتين ونهر صغير. عنها انظر: القلقشندي. **صبح الأعشى**. مج. ٤: ١٢٠–١٢١؛ إسكندر. **السلطان المملوكي**: ٤١، حاشية ١.

(١٤٦) مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وآسيا الصغرى، يحدها غربًا بلاد اللكام، وتطل المدينة على الطريق المؤدي إلى مدينة حلب، والثاني المتجه ناحية الجنوب الشرقي إلى مدينة الرها. عنها انظر: ياقوت الحموي. **معجم البلدان**. مج. ٥: ١٠٧؛ إسكندر. **السلطان المملوكي**: ٤١، حاشية ٤.

(١٤٧) إسكندر، **السلطان المملوكي**: ٣٦–٣٧.

(١٤٨) الأمير سنقر الألفي: هو شمس الدين سنقر بن عبد الله الألفي، كان من أعيان الأمراء الظاهرية، وولي نيابة السلطنة في عهد السلطان السعيد بن بيبرس، ثم عفي من الوظيفة. توفي عام (٦٨٠ هـ/ ١٢٨١ م). عنه انظر: الصفدي. **الوافي بالوفيات**. مج. ٤٩٠ :١٥؛ ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**. مج. ٧: ٣٥٠.

(١٤٩) ابن الفُرات المصري، **تاريخ ابن الفرات**، مج. ٦، ج. ١: ١٣٠–١٣٥.

(١٥٠) ابن العسال، **النهج السديد**: ١٤٨.

(١٥١) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٩٣–٣٠٥، ٣٠٧–٣٠٨؛ ابن العسال، **النهج السديد**: ١٦١–١٦٣؛ أبو الفداء، **المختصر**، مج. ٤: ٤؛ المقريزي، **كتاب السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٥٦٧، ٦٥٤؛ فهيم، **الفن الحربي**: ١٨٥.

(١٥٢) King, *The Knights Hospitallers*: 289.

The Memory of Arabs

Peer-reviewed Journal – Fifth Edition – 2021

ISSN 2735-4210

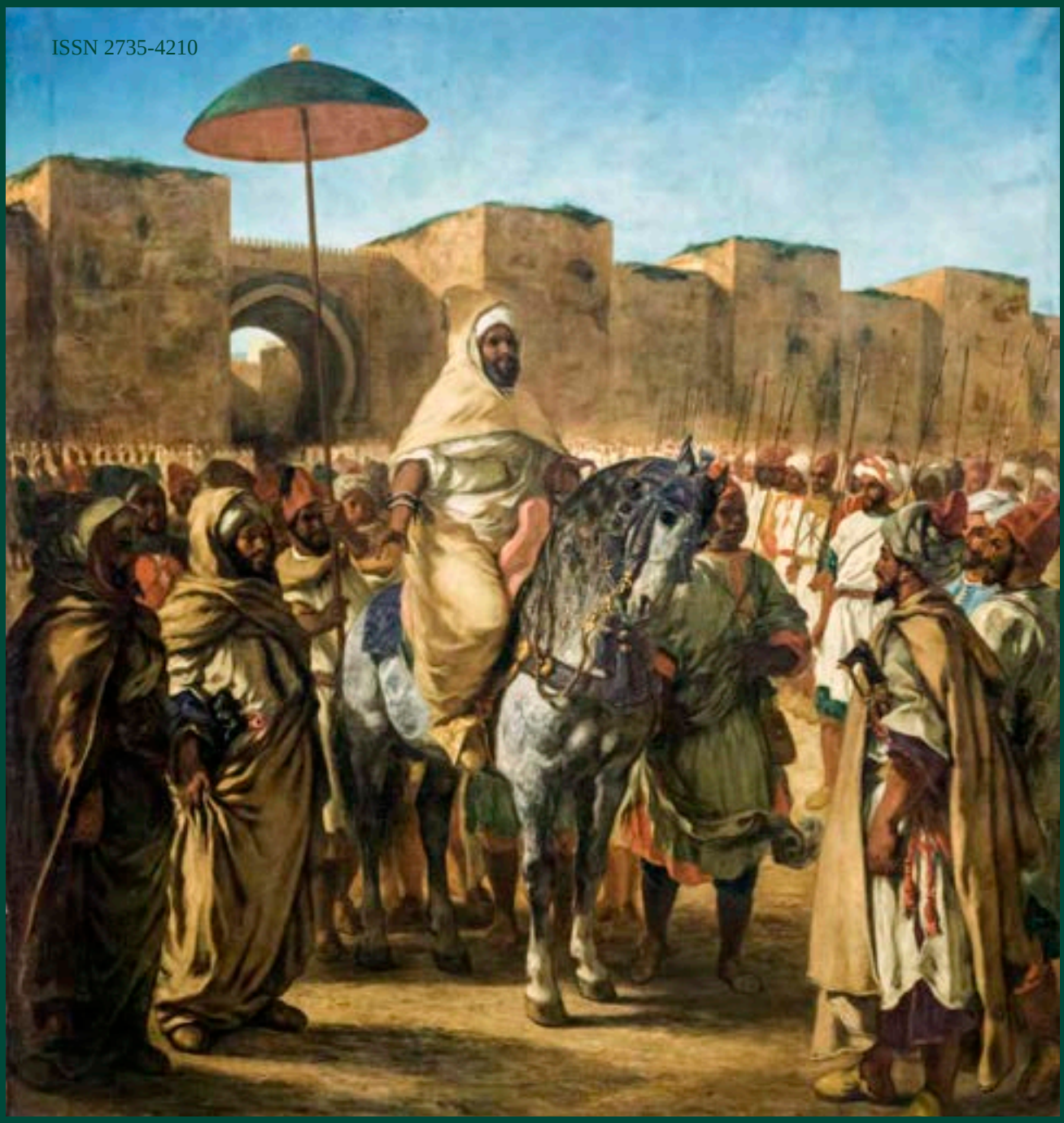

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية